منهج أهل السنة والجماعة

في معاملة ولاة أمرهم

أ.د. عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار

نسخة مطبوعة مع مجموع مؤلفات الشيخ

في المجلد رقم (٥)

مجموع مؤلفات ورسائل وبحوث

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
أستاذ الدراسات العليا في كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

العقيدة

القسم الرابع

المجلد الخامس

رتبه وأعده للطباعة
د. محمد بن عبد الله الطيار

دار التدمرية

ح عبدالله بن محمد الطيار ، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الطيار ، عبدالله بن محمد
مجموع مؤلفات ورسائل وبحوث فضيلة الشيخ عبدالله الطيار. / عبدالله بن محمد الطيار .- الرياض ، ١٤٣١هـ

٢٧مج.

ردمك: ١-٦١٧٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٥-٦١٨١-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٥)

١- الثقافة الاسلامية ٢- الاسلام - مقالات و محاضرات ٣- الدعوة الاسلامية أ.العنوان

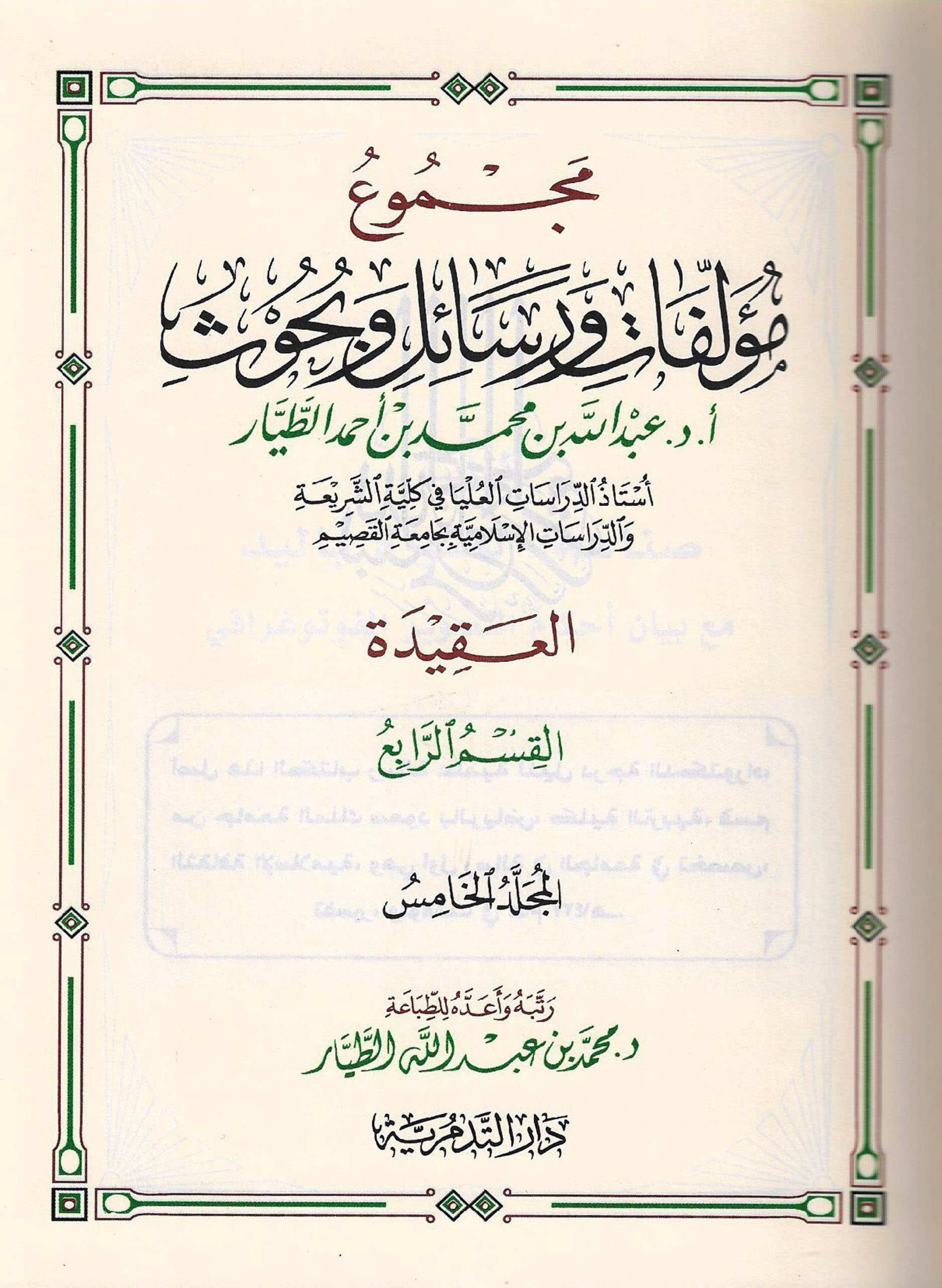
ديوي ٢١٤ ١٤٣١/٨٩٨٥

رقم الإيداع: ١٤٣١/٨٩٨٥
ردمك: ١-٦١٧٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٥-٦١٨١-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٥)

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار التدمرية

الرياض - ص.ب: ٢٦١٧٣ - الرمز البريدي: ١١٤٨٦
هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦ - ٤٩٢٥١٩٢ - فاكس: ٤٩٣٧١٣٠
Email: TADMORIA@HOTMAIL.COM
المملكة العربية السعودية



مجموع

مؤلفات ورسائل وبحوث

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

أستاذ الدراسات العليا في كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

العقيدة

القسم الرابع

المجلد الخامس

رتبه وأعده للطباعة

د. محمد بن عبد الله الطيار

دار التدمرية

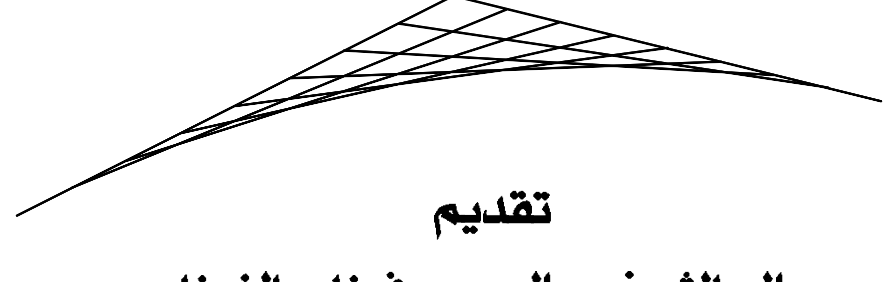
كتاب

منهج أهل السنة والجماعة

في

معاملة ولاة أمرهم

ينشر لأول مرة



تقديم
معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

الحمد لله رب العالمين، أمر بالاجتماع والائتلاف. ونهى عن التفرق والاختلاف.

والصلاة والسلام على نبينا محمد ما من خير إلا دل الأمة عليه وأمرها به.

وما من شر إلا بينه وحذر منه. وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى. ونجوم الدجى. ومن تبعهم بإحسان. وبعد:

فقد اطلعت على الرسالة التي ألفها أخونا الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار بعنوان: «منهج أهل السنة والجماعة في معاملة ولاة أمورهم» فوجدتها رسالة قيمة مفيدة في موضوعها تدعو الحاجة إلى مثلها لبيان الحق الذي التبس على كثير من الناس في هذه المسألة بسبب دعاة الضلال وأحزاب الفتنة الذين يريدون أن يفرقوا جماعة المسلمين ويوقعوا الشقاق بينهم على نهج فرقة الخوارج التي ابتليت بها الأمة الإسلامية في وقت مبكر وهي مكيدة من شياطين الجن والإنس حتى صار الكلام فيها الآن هو الشغل الشاغل خصوصاً في أوساط الشباب الجاهل فكان لا بد من بيان الحق في هذه المسألة.

وإن ما كتبه الشيخ الدكتور عبد الله في هذه الرسالة هو من القيام بهذا الواجب العظيم. فجزاه الله خيراً ونفع بعلمه وبما كتب.

قاله وكتبه:
صالح بن فوزان الفوزان
١٩/١/١٤١٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة
إدارة البحوث العلمية والإفتاء

الرقم : ....
التاريخ : ....
المشفوعات : ....
الموضوع : ....

الحمد لله رب العالمين، أمر بالاجتماع والائتلاف، ونهى عن التفرق والاختلاف. والصلاة والسلام على نبينا محمد ما من خير إلا دل الأمة عليه وأمرها به، وما من شر إلا بينه وحذر منه. وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى، ونجوم الدجى. ومن تبعهم بإحسان. وبعد: فقد اطلعت على الرسالة التي ألفها أخونا الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار بعنوان: منهج أهل السنة والجماعة في معاملة ولاة أمورهم فوجدتها رسالة قيمة مفيدة في موضوعها تدعو الحاجة إلى مثلها لبيان الحق الذي التبس على كثير من الناس في هذه المسألة بسبب دعاة الضلال وأحزاب الفتنة الذين يريدون أن يفرقوا جماعة المسلمين ويوقعوا الشقاق بينهم على نهج فرقة الخوارج التي ابتليت بها الأمة الإسلامية في وقت مبكر وهي مكيدة من شياطين الجن والإنس حتى صار الكلام فيها الآن هو الشغل الشاغل خصوصا في أوساط الشباب الجاهل فكان لابد من بيان الحق في هذه المسألة. وإن ما كتبه الشيخ الدكتور عبد الله في هذه الرسالة لهو من القيام بهذا الواجب العظيم. فجزاه الله خيرا ونفع بعلمه وبما كتبه.

قاله وكتبه:
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

١٩/٨/١٤١٨هـ

المقدمة

الحمد لله القائل في محكم التنزيل: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥ ـ ١٠٧].

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، القائل مرغباً ومرهباً: **«إن الله يرضى لكم ثلاثاً: يرض لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم. ويكره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال»**(١). وبعد. . .

فالعلاج لعلل المسلمين وأدوائهم هو الاجتماع على الحق والخير والانتصار للسنة ومحاربة البدعة وقمعها.

والاجتماع المنشود والمأمور به ليس مجرد الاجتماع ولو على أي منهج بل على منهج واحد، وطريق واحد هو طريق أهل السنة والجماعة طريق السلف الصالح. ولن يتحقق ذلك إلا بنشر العلم المستمد من الكتاب والسنة والصدور عن علماء الأمة الكبار الموثوق بهم. وتاجهم. في هذا الزمن كبار العلماء في بلاد الحرمين الشريفين، لثقة الناس بهم وعلو مكانتهم، وحرصهم على سلوك طريق سلف الأمة في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق وغيرها. وهذا المسلك هو طوق النجاة بإذن الله لأمة الإسلام التي لم تصب ـ حسب علمي ـ بعلة أخطر من علة التفرق والاختلاف، وذلك بسبب البعد عن العلماء العاملين وترك منهجهم والصدور عن آراء بعض المتحمسين للإسلام.

---

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة (٢/ ١٣٤٠) برقم (١٧١٥).

الذين يفهمون النصوص فهماً يتفق مع منهجهم ومشربهم. ولذا حصل من التفرق ما الله به عليم واكتوت الأمة بنار الفرقة ولا تزال. وهذا أمر معلوم من دين الإسلام ولكن في وسط هذا الجو المتكهرب هناك طائفة ثابتة على الحق، تأخذ به وتدعوا إليه ولا يزال الحال كذلك حتى تقوم الساعة. وصدق الحبيب المصطفى ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»**[(١)].

هذه الطائفة هي الطائفة المنصور، الثابتة على الحق، الطالبة لما عند الله. ومن طلب ما عند الله فإنه لا يخيب.

قال محمد بن عبد الله الثقفي: «شهدت خطبة ابن الزبير بالموسم خرج علينا قبل التروية بيوم وهو محرم فلبى بأحسن تلبية سمعتها قط، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد.... فإنكم جئتم من آفاق شتى وفوداً إلى الله ﷻ، فحق على الله أن يكرم وفده، فمن كان جاء يطلب ما عند الله فإن طالب الله لا يخيب، فصدقوا قولكم بفعل، فإن ملاك القول الفعل والنية النية، القلوب القلوب، الله الله في أيامكم هذه فإنها أيام تغفر فيها الذنوب»[(٢)].

نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من هذه الطائفة، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما جهلنا، وأن يرزقنا علماً نافعاً، وعملاً صالحاً، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

يوم الاثنين: غرة شهر رمضان المبارك

من عام ١٤١٦هـ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الطبراني.

أهمية الدعوة إلى الله

هناك غاية محددة لوجود الجن والإنس تتمثل في أداء مهمة سامية من قام بها فقد حقق غاية وجوده، ومن قصر فيها باتت حياته فارغة من القصد، خاوية من معناها الأصيل. هذه الغاية المحددة هي عبادة الله وحده كما شرع لعباده أن يعبدوه. ولا تستقيم حياة العبد كلها إلا على ضوء هذه المهمة والغاية. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

والدعوة إلى الله ﷻ من أفضل الأعمال وأقرب القربات وأوجب الواجبات، بعث الله تعالى صفوة خلقه من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام للقيام بها، ووعد القائمين بها أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً في الدنيا والآخرة، بل إن الله جل وعلا جعلها شعاراً لأتباع خير الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ولقد كان هؤلاء وهم خيار عباد الله تعالى يهتمون بالدعوة أبلغ الاهتمام، ويحرصون على إخراج الناس من الظلمات إلى النور أشد الحرص، وهكذا حال من سلك دربهم من صالحي الأمة ومصلحيها، وهذا الاهتمام الملحوظ يرجع لأسباب منها:

١ ـ أن الله تعالى أعلا منزلة الدعاة، حيث يصيرون بها من أحسن الناس قولاً عند خالقهم ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

٢ ـ مما يجعل المسلم يحرص على تبليغ الدين إلى الناس دعاء النبي ﷺ لمن بلغ قوله إلى غيره حيث يقول: «**نضر الله امرءاً سمع مقالتي فبلغها، فرب**

حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[١] ومعنى نضر الله هذا دعاء له بالنضارة وهي النعمة والبهجة.

٣ ـ الحرص على هداية الناس له فضل عظيم، لا سيما إذا هدى الله على يده أحداً، يدل لذلك ما ثبت عن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لعلي ﷺ لما أعطاه الراية يوم خيبر: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، وفوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»[٢].

وقد بين الرسول ﷺ أن من دل على خير فله مثل أجر فاعله، فقد ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»[٣] وأكد في سنته أن مما يتبع الشخص بعد موته وينفعه وهو في قبره العلم الذي يبثه في الناس، فقد روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**»[٤].

وحينما ننظر إلى سيرة الرسول ﷺ العملية في الجانب الدعوي نجده يدعو في جميع الأماكن والأزمان والأحوال فلم يوجه دعوته عليه الصلاة والسلام لصنف من الناس دون صنف، بل دعا الناس جميعاً من أحبوه ومن أبغضوه، ومن استمع إليه، ومن أعرض عنه، بل يوجه دعوته إلى من آذاه لأن الدعوة تكليف من الله لا بد من القيام به كسائر التكاليف الشرعية.

ولم يخص ﷺ مكاناً دون غيره للدعوة، بل كان يدعو في المسجد والطريق والسوق والحضر والسفر، بل وحتى في المقبرة، وعلى رأس الجبل.

---

(١) رواه ابن ماجه وهو صحيح. انظر: صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٤٥).
(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي (٧/ ٤٧٦) برقم (٤٢١٠).
(٣) رواه مسلم في كتاب الإمام (٣/ ١٥٠٦) برقم (١٨٩٣).
(٤) رواه مسلم في الوصية (٣/ ١٢٥٥) برقم (١٦٣١).

لم يترك الدعوة وكان ﷺ يستغل المواسم وأماكن تجمع الناس ليكون ذلك أبلغ في دعوته ولتصل أكبر عدد من الناس. واستمر ﷺ في أداء هذه المهمة الجليلة مشمراً عن ساعديه، باذلاً كل ما في وسعه، مستخدماً كل وسيلة متاحة متحملاً كل أذى في سبيل إبلاغ الدعوة وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

وقد امتلأت سيرته وفاضت بالمواقف الدعوية الرائدة التي تتمثل فيه القدوة العملية للدعاة والعلماء والمصلحين، وسبيله في ذلك ومنطلقه وقاعدته العريضة: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].



مفهوم أهل السنة والجماعة

أهل السنة والجماعة هم المتبعون للسنة في كل شأن، المجتمعون على الهدى. وبهذا يخرج أهل البدع وأصحاب الأهواء لأنهم غير مجتمعين على السنة والهدى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «البدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال أهل السنة والجماعة كما يقال أهل البدعة والفرقة»(١).

وقال أيضاً: «.. ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»(٢). ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد، وبهذا سمُّوا أهل الكتاب والسنة، وسمُّوا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين. والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين...»(٣).

---

(١) الاستقامة (١/ ٤٢).
(٢) رواه أبو داود برقم (٤٦٥٧)، والترمذي برقم (٢٦٧٨) وقال: حسن صحيح.
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ١٥٧).

منهج أهل السنة والجماعة
في معاملة ولاة أمرهم

هناك نصوص صحيحة صريحة توجب طاعة ولاة الأمر والمناصحة لهم، وهذه النصوص ظاهرة كثيرة في القرآن والسنة المطهرة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٨، ٥٩].

قال ابن كثير حول هذه الآيات[١]: فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء، ولهذا قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: اتبعوا كتابه، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: خذوا بسنته، ﴿وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ أي: فيما أمركم به من طاعة الله لا في معصية الله.

وقال العلامة الشوكاني في تفسيره[٢]: «لما أمر سبحانه القضاة والولاة إذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالحق أمر الناس بطاعتهم ها هنا وطاعة الله ﷻ هي امتثال أوامره ونواهيه وطاعة رسوله ﷺ هي فيما أمر به ونهى عنه، وأولي الأمر هم الأئمة والسلاطين والقضاة وكل من كانت له ولاية شرعية، لا ولاية طاغوتية، والمراد طاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه ما لم تكن معصية...».

وقال العلامة ابن سعدي[٣] في تفسيره حول هذه الآية: «ثم أمر بطاعته

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٥١٨).
(٢) فتح القدير (١/٤٨١).
(٣) فتح الكريم المنان (٢/٨٩).

وطاعة رسوله وذلك بامتثال أمرهما الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما. وأمر بطاعة أولي الأمر وهم الولاة على الناس من الأمراء والحكام والمفتين. فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم طاعة لله، ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمروا بمعصية الله فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

١ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»(١).

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك**»(٢).

٣ - عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمل عليكم عبدُ حبشي كأن رأسه زبيبة**»(٣).

٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**»(٤).

٥ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»(٥).

٦ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية**»(٦).

---

(١) رواه البخاري (١٣/١٠٩)، مسلم (١٢/٢٢٦).
(٢) رواه مسلم (١٢/٢٢٤).
(٣) رواه البخاري (١٣/١٠٨)، مسلم (١٢/٢٢٥).
(٤) رواه البخاري (١٣/٩٩)، مسلم (١٢/٢٢٣).
(٥) رواه مسلم (١٢/٢٤٠).
(٦) رواه البخاري (١٣/٥)، مسلم (١٢/٢٤٠).

٧ ـ وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أهان السلطان أهانه الله**»[١].

٨ ـ وعن تميم الداري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة... قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[٢].

هذه النصوص الصحيحة الصريحة تفيد بمجموعها وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية الله وعدم إثارة الفتن مهما كان الدافع لها، والحرص على الجماعة ولزومها والنهي عن الفرقة لأن فيها خذلان الأمة وضعفها. وهذا هو منهج سلف الأمة الذي ساروا عليه وأكدوه فيما نقل عنهم من كلام حول النصوص السابقة، ومن ذلك ما يأتي:

١ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولا بد لهم عند الاجتماع من الحاجة إلى رأس»[٣].

وقال في موضوع آخر: «ولهذا روي أن السلطان ظل الله في الأرض». «ويقال: ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان»[٤].

والتجربة تبين ذلك، ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: «لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان» ويقول في موضع آخر: «فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله، فإن التقرب إليه بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات...»[٥].

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٤٢)، والترمذي (٢٢٢٥) وقال: حديث حسن.

(٢) رواه مسلم (٢/ ٣٧).

(٣) السياسة الشرعية (ص١٨٤).

(٤) السياسة الشرعية (ص١٨٥).

(٥) السياسة الشرعية (ص١٧٦).

٢ ـ ويقول ابن القيم رحمه الله:

«.. وقوله: ولزوم جماعتهم هذا أيضاً مما يطهر القلب من الغل والغش فإن صاحبه للزومه جماعة المسلمين يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها، ويسوؤه ما يسؤهم، ويسره ما يسرهم، وهذا بخلاف من انحاز عنهم، واشتغل بالطعن عليهم والعيب والذم لهم...»[١].

٣ ـ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[٢]: «.. من نصب شخصاً كائناً من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً».

وقد علق الشيخ بكر أبو زيد على هذا الكلام بقوله: «.. وهذه حال كثير من الجماعات والأحزاب اليوم، فإنهم ينصبون أشخاصاً قادة لهم فيوالون أولياءهم ويعادون أعداءهم ويطيعونهم في كل ما يفتون لهم دون الرجوع إلى الكتاب والسنة، ودون أن يسألوهم عن أدلتهم فيما يقولون أو يفتون...»[٣].

إن منهج أهل السنة والجماعة مع ولاة أمرهم منهج وسط عدل، يقوم على أساس الاتباع وعدم الابتداع، والطاعة بالمعروف، وهذا مقتضى الأثر الذي تضافرت حوله النصوص الشرعية التي أشرنا إلى طرف منها سابقاً، وقد أكد ذلك سلف هذه الأمة تطبيقاً عملياً لهذا المنهج.

يقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر»[٤].

ويقول: «إياكم والتبدع والتنطع والتعمق، وعليكم بالعتيق»[٥].

ويقول: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة»[٦].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٧٢).
(٢) الفتاوى الكبرى (٢/ ٢٣٩، ٢٤٠).
(٣) حكم الانتماء (ص١٢١).
(٤) رواه الألكائي في شرح الاعتقاد (١/ ٨٦).
(٥) رواه ابن بطة في الإبانة (١/ ٣٢١).
(٦) رواه ابن بطة في الإبانة (١/ ٣٢٤).

ويقول: «إنها ستكون أمور مشتبهات فعليكم بالتؤدة فإنك أن تكون تابعاً في الخير خير من ان تكون رأساً في الشر»(١).

وسمع الحسن رجلاً يدعو على الحجاج فقال: «لا تفعل ـ رحمك الله ـ إنكم من أنفسكم أوتيتم إنما نخاف إن عُزل الحجاج أو مات أن تليكم القردة والخنازير»(٢).

إن وجود الحكام للناس أمر لازم لزوم الماء للحياة إذ لا سعادة للبشر إلا بهم ولا عدلاً قائماً ولا حقاً ظاهراً إلا بسلطان الحكام، فالناس فوضى بدونهم، ولن يصلح الناس فوضى لا تقام فيهم أحكام الشرع، ولا تطبق عليهم حدود الإسلام، ولا تنفذ أنظمته ولا يأمن الناس على حياتهم، ولا تحقق رفاهية ولا يدفع عدو طامع مع هذه الفوضى، وقد عبر عن هذا المعنى رسولنا محمد ﷺ بقوله: «**إنما الإمام جُنة يقاتل من ورائه ويتقى به**»(٣).

ومن أجل ذلك بوأ الله للحكام مكاناً وأنزلهم منازل كريمة فكانوا ظل الله في الأرض وأحبابه يوم القيامة. وصدق الحبيب المصطفى ﷺ إذ يقول: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل...**» الحديث(٤).

إن تاريخ العلماء والحكام من سلف الأمة حافل بمواقف الاستبصار ومواطن الذكرى، ومملوء بالدروس النافعة الرائعة، والأمة أحوج ما تكون اليوم إلى الاتعاظ بهذه المواقف والاهتداء بهديها، لئلا تتجاذبها رياح الفتن وتغتالها غوائل الدهر، وتقع في المحذور الذي وقعت فيه فئات من الناس جهلت التاريخ المضيء لأمة الإسلام، وما كان عليه علماء الأمة من معاملة صادقة للحكام وحرص على الخير، وما كان عليه الحكام من تقدير للعلماء ورفع لمكانتهم.

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة (١/٣٢٨).
(٢) أدب الحسن البصري لابن الجوزي (ص١١٩).
(٣) رواه البخاري ومسلم، صحيح البخاري (٢/١١٦)، وصحيح مسلم (١/٧١٥).
(٤) رواه البخاري ومسلم، صحيح البخاري (٤/٦٠)، وصحيح مسلم الإمارة (٤٣).

وهذه حال أمة الأسلام، وهذا هو هدي سلفنا الصالح، ولذا شعرت الأمة خلال حقب التاريخ بالسعادة والرفاهية والأمن، وتحقق لها من الخير ما بوأها مكانة عالية مرموقة، وها هي بلاد الحرمين تنهج هذا النهج ـ ولله الحمد والمنة ـ يتولى أمرها حكام مسلمون آمنوا بالله واليوم الآخر وحافظوا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ووقفوا عند حدودهما، والتزموا بأحكامهما. حضروا المساجد مع الرعية، وفتحوا لهم الأبواب يكرمون الزائر ويحترمون العالم ويجلونه ويسمعون النصح والإرشاد بكل أدب واحترام وهذا ما جعل هذه البلاد تحذو حذو سلف الأمة في العلاقة بين الحكام والمحكومين عامة، وبين الحكام والعلماء خاصة. ولذا لا يوجد في عرف بلاد الحرمين ـ وهو عرف نابع من الإسلام ـ رجال دين ولا رجال دنيا، فكل مسلم هو رجل من رجال الإسلام، ومن يعتقد بالإسلام يسمى مسلماً، والمسلمون جميعاً أمام دين الإسلام سواء ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

لكن يوجد علماء ربانيون يوجهون الناس ويعلمونهم ويدلونهم على الخير والناس بلا علماء هم جهال تتخطفهم شياطين الإنس والجن من كل حدب وصوب، وتعصف بهم الضلالات والأهواء من كل جانب.

ومن هنا كان العلماء من نعم الله تعالى على أهل الأرض، فهم مصابيح الدجى، وأئمة الهدى، وحجة الله في أرضه. بهم تمحق الضلالة من الأفكار، وتنقشع غيوم الشك من القلوب والنفوس، فهم غيظ الشيطان، وركيزة الإيمان، وقوام الأمة، مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء، يهتدى بهم في ظلمات الحياة في البر والبحر.

أخي القارئ... إن ما نعيشه في بلاد الحرمين الشريفين من نعمة الأمن والأمان والسلامة والإسلام مرده إلى تحكيم شرع الله، وما تقوم به هذه البلاد المباركة من جهود خيرة تعود على المسلمين جميعاً.

ويأتي في طليعة ذلك العناية بالحرمين الشريفين والقيام على شؤونهما، وبذل الأموال الطائلة على عمارتهما، وتيسير الوصول إليهما، وتأمين طريق الزائرين لهما في موسم الحج وفي سائر العام.

وهذه نعمة تستوجب الشكر والدعاء لولاة أمرنا بالتوفيق والصلاح والفوز والفلاح والعزة والسعادة في الدنيا والآخرة وأن يحفظ الله على هذه البلاد نعمة الأمن والإيمان وأن يزيدها عزاً وتمسكاً بشرعه القويم، ووقوفاً في وجه الباطل وأهله والمفسدين في الأرض الذين لا يريدون لهذه البلاد الاستقرار والأمن والطمأنينة. ولكن الله غالب على أمره يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد.

قال العلامة أحمد شاكر تعليقاً على حديث «**على المرء السمع والطاعة فيما أحب أو كره...**» الحديث:

«.. أما الشرع الإسلامي فقد وضع الأساس السليم والتشريع المحكم بهذا الحديث العظيم، فعلى المرء المسلم أن يطيع من له عليه حق الأمر من المسلمين فيما أحب وفيما كره، وهذا واجب عليه يأثم بتركه سواء أعرف الآمر أنه قصر أم لم يعرف فإنه ترك واجباً أوجبه الله عليه، وصار ديناً من دينه إذا قصر فيه كان كما لو قصر في الصلاة أو الزكاة أو نحوهما من واجبات الدين التي أوجب الله...»[١].

وقال مجدد الإسلام وإمام الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «... وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله»[٢].

نعم إن محبة ولاة الأمر والنصح لهم دليل على الصدق والإخلاص، وهذا ديدن العلماء الصادقين في كل زمان مع ولاتهم الذين يحكمون بالكتاب والسنة. ونحن في بلاد الحرمين الشريفين نعيش في ظل الأمن الوارف وتحكيم الشرع المطهر فحق لولاتنا علينا السمع والطاعة والتعاون معهم في كل سبيل فيه الخير والمصلحة لهذه البلاد ومن يعيش على ثراها.

وإذا كانت الأمة مطالبة في كل وقت أن تكون يداً واحدة وأن تتعاون كل فئات المجتمع على الخير والبر فإنها مطالبة في هذا الوقت أكثر لعظم

---

(١) السمع والطاعة (ص٥، ٦).

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأحمد بن حجر آل بو طامي (٤٧).

الأخطار المحيطة بها. وصدق الحبيب المصطفى ﷺ في قوله: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً** ـ وشبك بين أصابعه ـ»(١).

وقال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(٢).

إن من تمام شكر النعمة التي نعيش فيها أن نكون يداً واحدة متعاونين على الخير آمرين بالمعروف فاعلين له، ناهين عن المنكر مبتعدين عنه، عملاً بقوله الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

ويوم أن تتعاون فئات المجتمع ويصدر الناس عن رأي علمائهم الكبار في أمورهم العامة وقضاياهم المستجدة يتحقق بإذن الله الخير لهذا المجتمع ويتم التمكين له في الأرض، ونتفيأ ظلال المن في ظل تحكيم شرع الله المطهر في هذه البلاد المباركة، ولكي تتضح هذه النعمة ويعرف قدرها يحسن أن ندير أبصارنا إلى من حولنا من البلاد التي تعصف فيها رياح الفتن، ويسرح فيها الباطل، وتعشعش فيها الجريمة بكل أشكالها، ولا يأمن فيها الفرد على نفسه وماله وعرضه، بل لا يؤدي في كثير من الأحيان عبادته إلا بخفية خشية إيذائه من أهل الشر والضلال. فحمداً لك اللهم على نعمة الإسلام والأمن في الأوطان.

وأسأله سبحانه وتعالى أن يديم على هذه البلاد نعمة تحكيم شرع الله وأن يحفظ لها ولاتها، وأن يزيدهم هدى وصلاحاً، وأن يجمع بهم كلمة المسلمين، وأن يأخذ بأيديهم لما فيه خير هذه البلاد وصلاح رعاياها. كما أسأله سبحانه أن يوفق علماءنا ويسدد على طريق الخير خطاهم، وأن ينفعنا بعلمهم ويجمعنا بهم ووالدينا وأحبابنا في جنات النعيم.

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٩٨)، ومسلم (٨/ ٢٠).

(٢) رواه البخاري (٧/ ٧٧)، ومسلم (٨/ ٢٠).

من حقوق ولاة الأمر

السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين أصل من أصول العقيدة السلفية إذ بالسمع والطاعة لهم تنتظم مصالح الدين والدنيا معاً وبالافتيات عليهم قولاً أو فعلاً فساد الدين والدنيا وقد علم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمامة ولا إمامة إلا بسمع وطاعة يقول الفضيل بن عياض: لو كان لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان والسمع والطاعة لولي الأمر وحده وليس ذلك لأحد سواه كائناً من كان. فمن نزل نفسه منزلة ولي الأمر الذي له القدرة والسلطان على سياسة الناس فدعا جماعة للسمع والطاعة له أو أعطته تلك الجماعة بيعة تسمع وتطيع له بموجبها وولي المر قائم ظاهر فقد حادَّ الله ورسوله وخالف نصوص الشريعة واتبع غير سبيل المؤمنين.

يقول سهل بن عبد الله التستري: لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم وإن استخفوا بهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم.

ومنهج أهل السنة والجماعة تعظيم أمر السلطان ما دام يعظم أمر الله ويتبع شرعه وأما حصول الأخطاء والتقصير فهذا لا يسلم منه أحد ولم تسلم منه القرون المفضلة والذي ينبغي الحذر منه أن يتخذ من أخطاء السلطان سبيلاً لإثارة الناس وإلى تنفير القلوب عن ولاة الأمور فهذا عين المفسدة وأحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس كما أن ملء القلوب على ولاة الأمر يحدث الشر والفتنة والفوضى وكذا ملء القلوب على العلماء يحدث التقليل من شأن العلماء وبالتالي التقليل من الشريعة التي يحملونها وكم من المصائب والمآسي التي حصلت لمجتمعات كثيرة بسبب هذا الأمر ومتى حصل الخلل في المجتمع أوشك أن تضرب الفتنة أطنابها وبالتالي لا يستقيم للمجتمع بنيان

ولا يقر له قرار وعلى العكس إذا فشت المحبة المتبادلة بين الراعي والرعية وبين العامة وعلمائهم وظهر الدعاء لولاة الأمور وللعلماء فإن ذلك من علامات خيرية الأمة وخيرية الأئمة. وبناءً على ذلك فلا يجوز الوقوع في أعراض الأمراء والعلماء والاشتغال بسبهم وذكر معائبهم لأن ذلك خطيئة كبيرة وجريمة شنيعة نهى عنها الشرع المطهر وذم فاعلها وهي نواة الخروج على ولاة الأمر الذي هو أصل فساد الدين والدنيا معاً. ولا شك أن الوسائل لها أحكام المقاصد فكل نص في تحريم الخروج وذم أهله دليل على تحريم السب وذم فاعله وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»**[١].

وعن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: قالوا: يا رسول الله أي الإسلام أفضل؟ قال: **«من سلم المسلمون من لسانه ويده»**[٢] نسأل الله جل وعلا أن يعصم ألسنتنا من الوقوع في أعراض الخلق وخصوصاً من له الحق من الولاة والعلماء والأساتذة والأقارب ورجال الحسبة وأهل الفضل والدعوة وغيرهم.



(١) رواه البخاري (١٠/ ٤٤٥ ـ ٥٣١)، فتح، ومسلم (١/ ٦٨).

(٢) رواه البخاري (١/ ٥٤)، فتح، ومسلم (١/ ٦٥).

العلماء وأثرهم على الناس

العلم من المصالح الضرورية التي تقوم عليها حياة الأمة بمجموعها وآحادها فلا يستقيم نظام الحياة مع الإخلال بها بحيث لو فاتت تلك المصالح الضرورية لآلت حال الأمة إلى الفساد ولحادت عن الطريق الذي أراده لها الشارع ولذا جاء الحث على العلم والاهتمام به والترغيب في طلبه في نصوص كثيرة متضافرة قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»(١) ولعل سن الشباب هي خير ما يؤهل فيه الشاب لطلب العلم وقد يعجز عن إدراك الشيء بعد ما تتقدم به السن لكثرة العوارض والمشاغل وصدق الحسن إذ يقول: «طلب العلم في الصغر كالنقش على الحجر» وقال علقمة ﷺ: «أمَّا ما حفظت وأنا شاب فكأني أنظر إليه في قرطاسة أو ورقه».

وأوصى لقمان ابنه قائلاً: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بالحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء» وقال الشاعر:

نعم المؤانس والجليس كتاب ... تخلو به إن ملَّك الأصحاب
لا مفشياً سرّاً ولا متكبراً ... وتفاد منه حكمة وصواب

وقال آخر:

وأعلم بأن العلم أرفع رتبة ... وأجل مكتسب وأسنى مفخر

(١) رواه البخاري ومسلم صحيح البخاري، كتاب العلم (١٠)، وصحيح مسلم كتاب الإمارة (٣/ ١٧٥).

فاسلك سبيل المقتنين له تسد ... إن السيادة تقتنى بالدفتر
والعالم المدعو حبراً إنما ... سماه باسم الحبر حمل المحبر
وبضمَّر الأقلام يبلغ أهلها ... ما ليس يبلغ بالجياد الضمَّر

وقال ابن الجوزي:

«لما كان العلم أشرف الأشياء لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار وهجر اللذات والراحة».

ولا بد من الأدب مع العلماء واحترامهم وبيان محاسنهم فهم الشموع المضيئة والأعلام الهادية والأدلاء على الخير. هم بحر الأمة الدافق وقلبها النابض وبلسمها الشافي هم أهل الصلاح والتقى أهل الطاعة والعبادة.

وما أحقر بعض الأقزام من أهل الأهواء الذين لا يعرفون للعلماء قدرهم فيغمزونهم ويلمزونهم ويتطاولون عليهم وما علم هؤلاء أنهم يطعنون الأمة في أعز ما تملك بل في رصيدها الحقيقي وهم العلماء الذين يعتبر تقديرهم واحترامهم والأدب معهم من صميم ولوازم عقيدة المسلم ونحن مأمورون حال الاختلاف بالالتفاف حول الكتاب والسنة والرجوع إلى العلماء الربانيين الذين ينهلون من معين الوحيين وكلما ابتعد الشباب عن علمائهم تقاذفتهم الأهواء وفرقتهم الولاءات والانتماءات وابتعدوا عن الصراط المستقيم الذي ندعوا الله صباح مساء أن يهدينا إليه.

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

فالواجب علينا معاشر المسلمين تجاه علمائنا وهم تاج علماء الأمة الإسلامية في هذا الزمان أن نصدر عن أقوالهم ولا سيما في قضايا الأمة العامة وما يهمها في أمر دينها ودنياها ولا سيما ونحن نرى مؤامرات الأعداء تحيط بنا من كل حدب وصوب كل همهم تفريق صف الأمة وتوهين قوتها والسعي لإبعاد الشباب عن علماءهم.

وما ضلت أمة أعلت قدر علمائها وتمسكت بمنهجهم وجعلتهم في مقدمة

الركب يقودون سفينة المجتمع إلى شاطئ السلامة لئلا تعصف بها رياح الأهواء والاختلافات التي مزقت الأمة وأضعفتها وجعلت ولاءها لغير الله ورسوله والمؤمنين.

ووصيتي لنفسي وأبنائي وطلابي والناس عامة والشباب خاصة أن يلتزموا بأدب الإسلام في انتقاء أطايب الكلام واجتناب الجرح والسب والإيذاء بالغمز والهمز واللمز.

وخير ما يعين على ذلك سلوك طريق العلماء الموثوقين الذين لهم قدم راسخة في العلم وهم في بلاد الحرمين ـ المملكة العربية السعودية ـ، تاج علماء الزمان فليلزم الشاب غرزهم وليسلم من طرائق الأهواء ومزالق الشيطان ومضلات الفتن ويبتعد عن الولاء لغير الله ورسوله والمؤمنين.



نموذج للتعامل الشرعي مع الولاة

يعتبر شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية أحد الأعلام الذين خلد الزمان ذكرهم وأصبح الناس يتتلمذون عليهم على مر العصور وتعاقب الأيام ذلك أنه اجتمعت لهذا العالم صفات لم تجتمع في أحد من أهل عصره فهو الذكي الألمعي وهو الكاتب العبقري وهو الخطيب المصقع وهو الباحث المنقب وهو العالم المطلع الذي درس أقوال السابقين وقد أنضجها الزمان وصقلتها التجارب وفحصتها الاختبارات فنفذت بصيرته إلى لبها وتغلغل في أعماقها وتعرف أسرارها وفحص الروايات ووازن بين الآراء المختلفة وطبقها على عصوره مع إدراك للكليات الجامعة والفروق البديعة والتقاسيم الدقيقة وربط للجزئيات وجمع للأشتات المتفرقة ووضعها في نسق واحد.

لقد كانت لهذا العالم مواقف في غاية الأهمية ملؤها الحزم والشدة في ضوء النصوص الشرعية الثابتة بيَّض بهذه المواقف وجه الإسلام أمام أعدائه من اليهود والنصارى والتتار والملحدين والزنادقة والجهمية المعطلة والمبتدعة وعباد الموتى وغيرهم فقد صمد لهؤلاء جميعاً وآتاه الله من قوة اليقين وشجاعة القلب والنفس وقوة الحجة ما أخرسهم وقطع ألسنتهم وسود وجوههم حتى استعانوا عليه بالزور والافتراء والتحريف لقوله ووصلوا في هذا الجو الجاهل إلى بعض ما أرادوا من حبسه وهذا أمر معروف مشهور لكن بعض المنتسبين للدعوة في زماننا هذا ولغاية في النفوس يحور هذا الأمر ويقول: إن سجن شيخ الإسلام ابن تيمية حدث بسبب مخالفته للسلطان وأن موقفه كان سياسياً بحتاً لأن هؤلاء المنتسبين للدعوة يتعلقون بكل شيء يمت للسياسة والمخالفات السياسية لكن المطلع المنصف المتجرد على سيرة الإسلام يعرف ما حدث لهذا العالم من تسلط الفرق الضالة والمذاهب المنحرفة أهل الأهواء يتبين له بجلاء موقف الشيخ منهم ذلك

الموقف الصلب المتشدد الذي يقوم على قرع الحجة بالحجة وهدم الباطل من أساسه والذي يؤكد لنا أن موقفه لم يكن سياسياً إطلاقاً تلك الرسالة التي تقطر أدباً وتفيض محبة ومودة للسلطان الملك الناصر الذي سجن الشيخ وهذه الرسالة ذكرها تلميذه الشيخ ابن عبد الهادي في ترجمته لشيخه قال فيها[(١)]:

«. . رسالة الشيخ إلى السلطان الملك الناصر بسم الله الرحمٰن الرحيم. من الداعي أحمد ابن تيمية إلى السلطان الملك الناصر سلطان المسلمين ومن أيد الله في دولته الدين وأعز به عباده المؤمنين وقمع فيها الكفار والمنافقين والخوارج المارقين نصره الله ونصر به الإسلام وأصلح له وبه أمور الخاصة والعامة وأحيا به معالم الإيمان وأقام به شرائع القرآن وأذل به أهل الكفر والفسق والعصيان سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. . . أما بعد فقد صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وأنعم الله على السلطان وعلى المؤمنين في دولته نعماً لم تعهد في القرون الخالية وجدد الإسلام في أيامه تجديداً بانت فضيلته على الدول الماضية وتحقق في ولايته خبر الصادق المصدوق أفضل الأولين والآخرين الذي أخبر فيه عن تجديد الدين في رؤوس المئين والله تعالى يوزعه والمسلمين شكر هذه النعم العظيمة في الدنيا والدين ويتمها بتمام النصر على سائر الأعداء المارقين وذلك أن السلطان ـ أتم الله نعمته ـ حصل للأمة بيمن ولايته وحسن نيته وصحة إسلامه وعقيدته وبركة إيمانه ومعرفته وفضل همته وشجاعته وثمرة تعظيمه للدين وشريعته ونتيجة اتباعه لكتاب الله وحكمته ما هو شبيه بما كان يجري في أيام الخلفاء الراشدين وما كان يقصده الأئمة العادلون من جهاد أعداء الله المارقين عن الدين.

وهي رسالة مطولة تفيض حباً ومودة وولاءً للسلطان.

فكيف يكون موقف شيخ الإسلام سياسياً وكيف ينازع ولي الأمر حقه.

وهذه رسالة تكشف الحقيقة وتبين الموقف بجلاء فهل يعي الغافلون وينتبه المخدوعون. نرجو ذلك ونتمناه.

---

(١) العقود الدرية (ص١٨٢، ١٨٣).

هل كان موقف الإمام أحمد من فتنة القول بخلق القرآن سياسياً

وقف الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ طوداً شامخاً زمن الفتنة حينما أجبر الناس على القول بخلق القرآن وامتحن الإمام أحمد بسبب ذلك امتحاناً عظيماً ولكنه ثبت وصبر محتسباً الأجر من الله. لقد كان موقف الإمام أحمد موقفاً رائعاً يندر أن يحدث في التاريخ في باب الإصلاح والتجديد والدفاع عن الدين. واستطاع بموقفه المتميز أن يؤثر في عقول الناس وقلوبهم تأثيراً عظيماً وأن يقف طوداً شامخاً وجبلاً راسياً في وجه هذه التيارات التي تجرف بالرجال وتحرك الجبال. لقد كانت الأمة بحاجة ماسة إلى شخصية تمحضها النصح والتوجيه والإرشاد وكان المسلمون في هذه المواقف العصيبة بحاجة إلى إمام يثقون بدينه وأمانته وفقهه يعارض هذه التيارات الفاسدة ويقف في وجهها جاهراً بالحق محتملاً للأذى صابراً على البلاء.

وقد كان ما كان من الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ. وهذا أمر معروف مشهور لكن الذي لفت انتباهي أن بعض المنتسبين للدعوة يحور موقف الإمام أحمد من الفتنة ويجعله موقفاً سياسياً بحتاً ويقرر ـ حسب نظرته ـ أن سجنه كان لمخالفته السياسية وهذا والله هضم لموقف الإمام أحمد وتنقيص من قدره لأن موقفه الشرعي أعلى قدراً وأجل مكانة مما جره إليه هؤلاء المنتسبون للدعوة ولذا لما قيل للإمام أحمد وهو تحت السياط يعذب ما تقول في السلطان؟ قال: لو كان لي دعوة مستجابة لصرفتها إليه بل ثبت عنه رَحِمَهُ اللهُ أنه عفا عن المعتصم رَحِمَهُ اللهُ فقد حدث عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قال لي أبي: وجَّه إليَّ الواثق أن اجعل المعتصم في حل من ضربه إياي فقلت: ما خرجت من

داره حتى جعلته في حل[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «.. ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان...»[٢].

وقد كان موقف الإمام أحمد متشدداً مع ابن أبي دؤاد فقد قال إبراهيم الحربي: أحل أحمد بن حنبل من حضر ضربه وكل من شايع فيه والمعتصم وقال: إلا ابن أبي دؤاد داعية لا حللته[٣].

وهذا دليل واضح أن موقف الإمام أحمد كان موقفاً عقدياً وليس منازعة للسلطان ولم يكن موقفاً سياسياً كما يبدو لبعض الناس حيث وظفوا هذا الموقف لصالح ما يدعون إليه ولكن هيهات لهم ذلك فقد نص الإمام أحمد على عدم حله لابن أبي دؤاد لأنه داعية يدعو للبدعة ويعلن ذلك فكان الإمام أحمد يرى أن ابن أبي دؤاد هو السبب في كل ما حصل للمسلمين من الفتنة وما حصل له ـ أحمد ـ خصوصاً من المحنة فرحم الله الإمام أحمد فما أحسن هذا النظر الدقيق وذلك التفريق العجيب وذلك دونما شك نظر العلماء العاملين الحريصين على هداية الناس ودعوتهم للخير.



(١) مناقب أحمد بن حنبل (ص٣٤٤).
(٢) السياسة الشرعية (١٨٥).
(٣) مناقب أحمد بن حنبل (ص٣٤٥).

مفهوم النصيحة وأثرها على الفرد والجماعة

عن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة**، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[(١)].

كرر النبي ﷺ هذه الكلمات اهتماماً للمقام وإرشاداً للأمة أن يعلموا حق العلم أن الدين كله ـ من ظاهره وباطنه ـ منحصر في النصيحة، وهي القيام التام بهذه الحقوق الخمسة التي تشمل القيام بحقوق الله وحقوق كتابه وحقوق رسوله وحقوق جميع المسلمين على اختلاف أحوالهم وطبقاتهم، فشمل ذلك الدين كله ولم يبق منه شيء إلا دخل في هذا الكلام الجامع المحيط.

فطوبى للناصحين حقيقة ما أعظم توفيقهم، وما أهدى طريقهم، لا تجد الناصح إلا مشتغلاً بغرض يؤديه، وفي جهاد نفسه عن محارم ربه ونواهيه، وفي دعوة غيره إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة. وفي التخلق بالأخلاق الجميلة والآداب المستحسنة إن رأى من أخيه خيراً أذاعه ونشره، وإن اطلع منه على عيب كتمه وستره، إن عاملته وجدته ناصحاً صدوقاً وإن صاحبته رأيته قائماً بحقوق الصحبة على التمام، مأموناً في السر والعلانية، مبارك على الجليس كحامل المسك إما أن يحذيك أو تجد منه رائحة طيبة فمتى وجدت الناصح فاغتنم صحبته، وإذا تشابهت عليك المسالك فاستعن بمشاورته، جاهد نفسك على التخلق بخلق النصح تجد حلاوة الإيمان وتكون من أولياء الرحمٰن أهل البر والإحسان، لو اطلعت على ضمير الناصح لوجدته ممتلئاً نوراً وأمناً ورحمة وشفقة، ولو شاهدت أفكاره لرأيتها تدور حول

---

(١) رواه مسلم (١/ ٣٧).

مصالح المسلمين، مجملة ومفصلة، ولو تأملت أقواله وأعماله لرأيتها كلها صريحة متفقة. أولئك السادة الأخيار وأولئك الصفوة الأبرار. لقد نالوا الخير الكثير بالنيات الصالحة والعمل اليسير. والمنصف الكيس هو الذي يحسن مشاورة الآخرين ويتقبل نصائحهم وليس من الإنصاف وفسحة الصدر رفض المشورة إن خالفت هواه بدعوى أن الآخرين في صدورهم شيء نحوه كما لا يحق للمستشار أن يسيء الظن إن رفضت مشورته.

شاور سواك إذا نابتك نائبة ... يوماً وإن كنت من أهل المشورات

ولا ينبغي أن تكون المناصحة للأفراد علانية أمام الملأ لئلا تؤدي إلى مفسدة أعظم. يقول الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير وكان يقال: «من أمر أخاه على رؤوس الملأ فقد عيره»[١].

وكان السلف يكرهون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على هذا الوجه، ويحبون أن يكون سراً فيما بين الآمر والمأمور فإن هذا من علامات النصح فإن الناصح ليس له غرض في إشاعة عيوب من ينصح له، وإنما غرضه إزالة المفسدة التي وقع فيها. فشتان بين من قصده النصحية وبين من مقصده الفضيحة ولا تلتبس إحداهما بالأخرى إلا على من ليس من ذوي العقول الصحيحة.

قال الخطابي حول هذا الحديث «.. من النصيحة لله سبحانه صحة الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النية في عبادته، والنصيحة لكتابه: الإيمان به والعمل بما فيه.

والنصيحة لرسوله: التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه.

والنصيحة لأئمة المسلمين: أن يطيعهم في الحق وأن لا يرى الخروج عليهم بالسيف إذا جاروا.

والنصيحة لعامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم»[٢].

---

(١) الفرق بين النصيحة والتعيير لابن رجب (ص٣٩).

(٢) معالم السنن للخطابي (٧/ ٢٤٧).

وقال محمد بن نصر المروزي: «.. قال بعض أهل العلم: جماع تفسير النصيحة هي عناية القلب للمنصوح له كائناً من كان، وهي على وجهين: أحدهما فرض، والآخر نافلة فالنصيحة المفترضة لله هي شدة العناية من الناصح باتباع محبة الله في أداء ما افترض ومجانبة ما حرم، وأما النصيحة التي هي نافلة فهي إيثار محبته على محبة نفسه، وذلك أن يعرض له أمران: أحدهما لنفسه والآخر لربه. فيبدأ بما كان لربه ويؤخر ما كان لنفسه فهذا جملة تفسير النصيحة لله الفرض منه، وكذلك تفسير النافلة... إلى أن قال: «وأما النصيحة لكتابه: فشدة حبه وتعظيم قدره إذ هو كلام الخالق وشدة الرغبة في فهمه وشدة العناية في تدبره والوقوف عند تلاوته لطلب معاني ما أحب مولاه أن يفهمه عنه أو يقوم له بعد ما يفهمه...

وأما النصيحة للرسول ﷺ في حياته فبذل المجهود في طاعته ونصرته ومعاونته وبذل المال إذا أراده والمسارعة إلى محبته. وأما بعد وفاته فالعناية بطلب سنته والبحث عن أخلاقه وآدابه وتعظيم أمره ولزوم القيام به.. وأما النصيحة لأئمة المسلمين فحب صلاحهم ورشدهم وعدلهم وحب اجتماع الأمة عليهم وكراهة افتراق الأمة عليهم والدين بطاعتهم في طاعة الله ﷻ. والبغض لمن رأى الخروج عليهم، وحب إعزازهم في طاعة الله ﷻ. وأما النصيحة للمسلمين فأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويشفق عليهم، ويرحم صغيرهم، ويوقر كبيرهم، ويحزن لحزنهم، ويفرح لفرحهم وإن ضره ذلك في دنياه..»[١].

وقال أبو عمر بن الصلاح: «.. فالنصيحة لله تعالى: توحيده ووصفه بصفات الكمال والجلال وتنزيهه عما يضادها ويخالفها، وتجنب معاصيه، والقيام بطاعته، ومحابه بوصف الإخلاص والحب فيه، والبغض فيه.

والنصيحة لكتابه: الإيمان به وتعظيمه وتنزيهه وتلاوته حق تلاوته،

---

(١) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (٢/ ٦٩٣، ٦٩٤).

والوقوف مع أوامره ونواهيه، وتفهم علومه وأمثاله، وتدبر آياته والدعاء إليه، وذب تحريف الغالين وطعن الملحدين عنه.

والنصيحة لرسوله ﷺ قريب من ذلك: الإيمان به وبما جاء به وتوقيره وتبجيله والتمسك بطاعته وإحياء سنته واستنشار علومه ونشرها، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه ووالاها، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ومحبة آله وأصحابه ونحو ذلك.

والنصيحة لأئمة المسلمين: معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وتذكيرهم به وتنبيههم في رفق ولطف ومجانبة الوثوب عليهم والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك.

والنصيحة لعامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم، وستر عوراتهم، وسد خلاتهم، ونصرتهم على أعدائهم والذب عنهم، ومجانبة الغش والحسد لهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه وما شابه ذلك»[١].

وقال ابن رجب: «.. وقد أخبر النبي ﷺ أن الدين النصيحة، فهذا يدل على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل عليه السلام، وسمي ذلك كله ديناً، فإن النصح لله يقتضي القيام بأداء واجباته على أكمل وجوهها وهو مقام الإحسان، فلا يكمل النصح لله بدون ذلك...»[٢].

وقال ابن سعدي: «.. أما النصيحة لله فهي القيام بحقه وعبوديته التامة، وعبوديته تعم ما يجب اعتقاده من أصول الإيمان كلها وأعمال القلوب والجوارح وأقوال اللسان من الفروض والنوافل فعل المقدور منها، ونية القيامة بما يعجز عنه..

وأما النصيحة لكتاب الله: فهي الإقبال بالكلية على تلاوته وتدبره وتعلم

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/١٩٣، ١٩٤).
(٢) جامع العلوم والحكم (١/١٨٨).

معانيه وتعليمها، والتخلق بأخلاقه وآدابه، والعمل بأحكامه واجتناب نواهيه، والدعوة إلى ذلك. وأما النصيحة للرسول محمد ﷺ فهو: الإيمان الكامل به وتعظيمه وتوقيره وتقديم محبته وأتباعه على الخلق كلهم، وتحقيق ذلك وتصديقه باتباعه ظاهراً وباطناً في العقائد والأخلاق والأعمال. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] والحرص على تعلم سنته وتعليمها واستخراج معانيها وفوائدها الجليلة وهي شقيقة الكتاب.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين وهم ولاتهم: .. فهؤلاء لما كانت مهماتهم وواجباتهم أعظم من غيرهم وجب لهم من النصيحة بحسب مراتبهم ومقاماتهم، وذلك باعتقاد إمامتهم والاعتراف بولايتهم، ووجوب طاعتهم بالمعروف وعدم الخروج عليهم وحث الرعية على طاعتهم ولزوم أمرهم الذي لا يخالف أمر الله ورسوله، وبذل ما يستطيع الإنسان من نصيحتهم وتوضيح ما خفي عليهم مما يحتاجون إليه في رعايتهم، كل أحد بحسب حاله، والدعاء لهم بالصلاح والتوفيق، فإن صلاحهم صلاح لرعيتهم، واجتناب سبهم والقدح فيهم، وإشاعة مثالبهم، فإن في ذلك شراً وضرراً وفساداً كبيراً، فمن نصيحتهم الحذر والتحذير من ذلك، وعلى من رأى منهم ما لا يحل أن ينبههم سراً لا علناً بلطف وبعبارة تليق بالمقام، ويحصل بها المقصود فإن هذا مطلوب في حق كل أحد وبالأخص ولاة الأمور، فإن تنبيههم على هذا الوجه فيه خير كثير، وذلك علامة الصدق والإخلاص.

واحذر أيها الناصح لهم على هذا الوجه المحمود أن تفسد نصيحتك بالتمدح عند الناس فتقول لهم إني نصحتهم وقلت وقلت، فإن هذا عنوان الرياء، وعلامة ضعف الإخلاص، وفيه أضرار أخرى معروفة وأما النصيحة لعامة المسلمين: فقد وضحها النبي ﷺ بقوله: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» وذلك بمحبة الخير لهم والسعي في إيصاله إليهم بحسب الإمكان وكراهية الشر والمكروه لهم، والسعي في دفع ذلك ودفع أسبابه، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، ونصحهم في أمور دينهم ودنياهم، وكل ما تحب أن يفعلوه معك من الإحسان فافعله، معهم، ومعاونتهم على البر

والتقوى، ومساعدتهم على كل ما يحتاجونه، فمن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه المسلم. وهذه الأمور كلها بحسب القدرة. . .»[1].

وقال شيخنا الشيخ محمد العثيمين: «. . أما النصيحة لله فهي: الإخلاص له وصدق القصد في طلب مرضاته بأن يكون الإنسان عبداً لله حقيقة راضياً بقضائه، قانعاً بعطائه، ممتثلاً لأوامره، مجتنباً لنواهيه، مخلصاً له في ذلك كله، لا يقصد به رياءً ولا سمعةً.

وأما النصيحة لكتاب الله فهي: تلاوته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وتصديق أخباره والذب عنه، وحمايته من تحريف المبطلين، وزيغ الملحدين، واعتقاد أنه كلام رب العالمين تكلم به وألقاه على جبريل فنزل به على قلب النبي ﷺ.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فهو صدق الولاء لهم وإرشادهم لما فيه خير الأمة في دينها ودنياها، ومساعدتهم في إقامة ذلك، والسمع والطاعة لأوامرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله واعتقاد أنهم أئمة متبوعون لما أمروا به لأن ضد ذلك هو الغش والعناد لأوامرهم والتفرق والفوضى التي لا نهاية لها ولأنه لو جاز لكل واحد أن يركب رأسه وأن يعتز برأيه ويعتقد أنه هو المسدد للصواب وهو الذي لا يدانيه أحد لزم من ذلك الفوضى والتفرق والتشتيت.

وأما النصيحة لعامة المسلمين فهي: أن تحب لهم ما تحب لنفسك وأن تفتح لهم أبواب الخير، وتحثهم عليها، وتغلق دونهم أبواب الشر وتحذرهم منها، وأن تبادل المؤمنين المودة والإخاء. وأن تنشر محاسنهم وتستر مساوئهم، وتنصر ظالمهم ومظلومهم، تنصر ظالمهم بمنعه من الظلم، وتنصر مظلومهم بدفع الظلم عنه. فمتى قام المجتمع على هذه الأسس النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم عاش عيشة راضية حميدة ومات

---

(١) المجموعة الكاملة (١/ ٣٩٨).

ميتة حق سعيدة. . .»[١].

هذه النقول الموثقة من العلماء الأعلام تبين أهمية النصيحة وكيفيتها واختلافها من شخص لآخر حسب الظروف والملابسات والأحوال والأشخاص، فما يناسب الأمير والعالم غير ما يناسب عامة الناس، وما يناسب القريب والصديق يختلف عما يناسب غيرهما، وما يناسب الصغير خلاف ما يناسب الكبير، وما يناسب من تكرر منه الأذى والمنكر يختلف تماماً عن الشخص الذي يحدث منه لأول مرة. . . هكذا ومن أهم ذلك وأعظمه قدراً وأكثره نفعاً أن يناصح ولاة الأمر سراً فيما يحدث منهم ولا ينبغي أن يكون ذلك من على المنابر وفي مجامع الناس، لما في ذلك من إثارة للعامة وإشعال للفتنة، وهذا مسلك خاطئ ومخالف لما كان عليه العلماء العاملون مع ولاة الأمر في كل زمان ومكان يحكم فيه بالإسلام وسبيل المؤمنين في ذلك جمع قلوب الناس على ولاة الأمر والدعاء لهم بالخير والصلاح، وهذا منهج أهل السنة والجماعة القيام بالمناصحة لكن بضوابطه الشرعية، وحسب مقتضيات الأحوال، وما يناسب الأشخاص، فيحذر الناصح عن المنكرات عموماً دون تخصيص فاعل، كالتحذير من الزنى عموماً، ومن الربا عموماً ومن الظلم عموماً، ونحو ذلك.

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز: «. . . ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة، وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع. ولكن الطريقة المتبعة عند السلف النصيحة فيما بينهم وبين السلطان والكتابة إليهم أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير، وإنكار المنكر يكون من دون ذكر الفاعل، فينكر الزنى، وينكر الخمر، وينكر الربا من دون ذكر من فعله، ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير أن فلاناً يفعلها لا حاكم ولا غير حاكم. . .»[٢].

---

(١) حقوق الراعي والرعية مجموعة خطب للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ص٦، ٧، ٨).

(٢) من فتوى للشيخ مطبوعة ضمن رسالة، حقوق الراعي والرعية (ص٢٧).

ويقول في موضوع آخر: «... فالواجب على الغيورين لله وعلى دعاة الهدى أن يلتزموا بحدود الشرع، وأن يناصحوا من ولاهم الله الأمور بالكلام الطيب والحكمة والأسلوب الحسن، حتى يكثر الخير ويقل الشر، وحتى يكثر الدعاة إلى الله، وحتى ينشطوا في دعوتهم بالتي هي أحسن لا بالعنف والشدة ويناصحوا من ولاهم الله الأمر بشتى الطرق الطيبة السليمة مع الدعاء للحاكم في ظهر الغيب أن الله يهديه ويوفقه ويعينه على الخير...»[١].

أما التشويش وإثارة البلبلة على المنابر والتشهير بالناس وتحجيم الأمور والمبالغة فيها وتهويلها والنقد العلني فليس ذلك من منهج أهل السنة لأن هذا المسلك يوغر الصدور ويثير العامة ويجعلهم يتحدثون في أمور لا علاقة لهم بها وكم جنت هذه الطريقة العقيمة على الناس لأنهم يخرجون من المسجد دون فائدة اللهم إلا إثارة العواطف التي لا فائدة من ورائها وإنما تضر البلاد والعباد. وإن بلادنا ـ بلاد الحرمين الشريفين مرت بتجارب من هذا القبيل حيث كثر في فترة ماضية من يشوشون ويثيرون العوام والشباب دون وعي بالمخاطر التي يؤدي إليها ذلك الأسلوب فحصل من المشاكل والعقبات ما الله به عليم ولا أدل على ذلك من جنوح بعض الشباب وحصول كثير من العوام منهم من التكفير والتفجير. وتجنيهم على العلماء الصادقين وترديدهم كلام الأعداء الحاقدين الذين يريدون ببلادنا شراً. إن أسلوب المناصحة الشرعي يؤدي ثمرته عاجلاً وعلى العكس الأسلوب الأهوج الأعوج ببذر بذرة الشر التي تتنامى حتى تكبر فتفسد على المجتمع أمنه وطمأنينته ومن امثلة ذلك ما يصدر من النشرات التي تروج الكذب وتتهم الأبرياء ولم يسلم من شرها وزيفها حتى العلماء العاملين وولاة الأمر المخلصين. فحريٌ بك أخي القارئ أن تنهج الأسلوب الأمثل وأن تكون عامل بناء وإصلاح وألا تنساق خلف الناعقين والداعين لهدم المجتمع بأساليب ماكرة خبيثة.

---

(١) مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري (ص٢٧، ٢٨).

الحزبية خنجر مسموم طعنت به أمة الإسلام

بعث الله تعالى رسوله محمداً ﷺ من جزيرة العرب إلى الإنس والجن عامة ينذرهم عن الشرك ويدعوهم إلى التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة وترك الشرك وأهله والبراءة من الشرك وأهله، والولاء للتوحيد وأهله.

وقد مكث النبي ﷺ عشر سنين يثبت العقيدة في نفوس أصحابه حتى قويت جذورها واشتد أصلها، وبعد ذلك عرج به إلى السماء وفرضت الصلوات الخمس ثم أمر بالهجرة إلى المدينة، ولما استقر بها أمر ببقية الشرائع من الزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وغيرها من شرائع الإسلام.

وعاش المجتمع المدني في أمن وطمأنينة بعد أن أنعم الله عليهم بفضله بالألفة والاجتماع بعد اجتماع القلوب على إخلاص الدين لله ومتابعة رسوله ﷺ. وهذا هو منطلق الإسلام ومبنى جماعة المسلمين ومنهج النبي المصطفى ﷺ التربية على العقيدة وتصديق ذلك بالعمل. وبهذا الأمر أصبح الصحابة سادة العالم ثم لا يزال الأمر كذلك حتى بدأت الفرق والحزاب تنخر في جوف الأمة وتمزقها متخذة كل وسيلة لهدم كيان الأمة المتماسك المبني على عقيدة الإسلام والولاء لله ولرسوله وللمؤمنين.

وقد أخبر عن ذلك الصادق المصدوق ﷺ بقوله: «**إن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة**».

وفي رواية قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[١].

---

(١) رواه أبو داود برقم (٤٥٩٧)، والترمذي برقم (٢٦٤٠) وقال: صحيح.

وهذا يؤكد أن الاختلاف واقع لا محالة، وأن عامة المختلفين هالكون إلا أهل السنة والجماعة، ذلك أن المختلفين المفترقين خالفوا هدي رسول الله ﷺ وابتعدوا عن سنته واتبعوا غير سبيل المؤمنين، وصاروا شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون. واتبع كل فريق وحزب ما في قلوبهم من الهوى المخالف لهدي الرسول ﷺ فحل ما حل بالمسلمين من الكوارث والنكبات التي سببها البعد عن الاعتصام بالكتاب والسنة وسلوك طريق غير طريق المؤمنين وسبيل غير سبيلهم، وكل يغني على ليلاه، وكل يظن أنه يدعو إلى الخير، لكن ميزان الدعوة في الإسلام الذي يعرف به صواب منهاج الدعوة وخطؤه في أي زمان. وعلى أي حال يتلخص بالآتي:

١ ـ مطابقة سبيل رسول الله ﷺ في إبلاغ رسالة ربه.

٢ ـ أن يكون الداعي إلى الله على بصيرة بما يدعو إليه؛ أي: على علم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما عليه سلف الأمة.

٣ ـ أن تقوم الدعوة إلى الله على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

٤ ـ التزام الداعي إلى الله بما يدعو إليه ليقرن القول بالعمل، ويكون قدوة لمن يدعوهم.

وعلى قدر القرب من هذا الميزان والبعد عنه يكون التوفيق والتسديد للداعي في كل زمان ومكان، وعلى كل حال وهذا من حيث الجملة.

أما بلاد الحرمين الشريفين مهبط الوحي ومتنزل الرسالة ومهوى أفئدة المسلمين فلها شأن آخر لأن الله ميزها بميزات ليست لغيرها منها:

١ ـ وجود البيت العتيق فيها قبلة المسلمين في صلاتهم ومحط رحالهم في حجهم وعمرتهم.

٢ ـ انطلاق رسالة التوحيد منها إلى الثقلين في كل زمان ومكان، فمنها بعث خاتم الأنبياء والمرسلين، ومنها انطلقت جحافل الإيمان تدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

٣ ـ الحكم بتطهيرها من الشرك وأهله حتى لا يجتمع فيها دينان.

وها هي بلاد الحرمين الشريفين تتميز على الدنيا بميزات ظاهرة للعيان منها:

١ ـ قيام دولتها على الدعوة إلى التوحيد ونبذ ما سواه.

٢ ـ تحكيم شرع الله وإقامة حدوده.

٣ ـ شعارها في رايتها الشهادتان، وهذه الراية ترتفع خفاقة حتى ولو نكست الرايات لموت عظيم أو كبير لم تنكس مهما كانت الظروف.

٤ ـ خلو أرضها ولله الحمد والمنة من التماثيل والأوثان والأضرحة والمقامات التي تنتشر في سائر البلاد الإسلامية، ولكن الله حمى هذه البلاد منها لأنها بلد قام على التوحيد الخالص.

٥ ـ خلو المساجد في هذه البلاد المباركة من البدع التي تعج بها المساجد في كثير من الأصقاع الإسلامية.

٦ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعار معلن تفخر به هذه البلاد، وقد وضعت له الأنظمة واللوائح وتصرف من أجله الملايين في كل عام.

٧ ـ الأذان للصلاة شعار يرفع يومياً وتلتزم المؤسسات بإغلاق المحلات التجارية، ويحاسب من يخالف هذه التعليمات كائناً من كان.

٨ ـ فرض الحجاب الشرعي على النساء ومحاسبة من يخالف ذلك

٩ ـ فصل الرجال عن النساء في قاعات الدراسة ومنع الاختلاط في المنتديات والجامعات والمؤسسات الخاصة والعامة.

١٠ ـ لا تمنح جنسية هذه البلاد إلا لمسلم، وهذا أمر تفخر فيه هذه البلاد تنفيذاً لوصية المعصوم ﷺ **«لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً»**[(١)].

قال القاضي عياض: «. . . وجدير بمواطن عمرت بالوحي والتنزيل

(١) رواه مسلم (٣/١٣٨٨ ـ ١٧٦٧).

وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس وآيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت وأين فاض عبابها، ومواطن طويت فيها الرسالة وأول أرض مس جلد المصطفى تراثها أن تعظم عرصاتها وتنسَّم نفحاتها...»[١].

وقال ابن القيم «... فلو لم يكن البلد الأمين خير بلاده وأحبها إليها ومختاره من البلاد، لما جعل عرصاتها مناسك لعباده، فرض عليهم قصدها وجعل ذلك من آكد فروض الإسلام وأقسم به في كتابه العزيز في موضعين منه فقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين: ٣] وقال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾ [البلد: ١].

وليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي إليها والطواف بالبيت الذي فيها غيرها، وليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه وتحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود والركن اليماني...»[٢].

هذه حال بلاد الحرمين ولله الحمد والمنة، والمتأمل لحال كثير من البلاد الإسلامية التي عصفت بها رياح الفتن والاختلافات ودخلها التفرق وتغلغلت بها الحزبيات والجماعات يرى العجب، لقد وصل الحال بالمسلمين نتيجة لتعدد الجماعات والأحزاب والفرق والطوائف إلى أن تعدى بعضهم على بعض بالتهم والإشاعات الكاذبة والسباب حتى اعتدى بعضهم على بعض بل واجه بعضهم بعضاً بالسلاح وهذا واقع مشاهد معروف والعجيب الغريب أن هؤلاء الذين وقف بعضهم في طريق بعض وآذى بعضهم بعضاً يدعي كل منهم أن همهم الأول تجميع الصفوف ووحدة المسلمين. ونحن نقول كيف تتجمع

(١) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٢/ ١٣٢).

(٢) زاد المعاد (١/ ٤٧، ٤٨).

الصفوف ويتحد المسلمون بواسطة جماعات وطوائف وأحزاب متفرقة كل طرف منها يحاول بكل وسيلة أن يثبت أنه على الحق وغيره على الباطل. كل ما كان يؤدي لخدمة حزبه وجماعته يسارع إليه ويشجع عليه، وما وقف في طريق حزبه أو خالفه يبذل الغالي والنفيس للتخلص منه. أما الموازين الشرعية عند هؤلاء فهي غائبة. فالقرب منهم والبعد والحب والكره كل ذلك منوط بالانضمام معهم والانخراط في حزبهم. وكان الأجدر بهؤلاء أن يتحدوا على السنة لإنها أساس الاتحاد وأصل جمع الصفوف وسفينة النجاة. نعم لأن السنة أمارة الوحدة، والبدعة أمارة الفرقة.

يقول شيخ الإسلام: «البدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة. فيقال: أهل السنة والجماعة كما يقال: أهل البدعة والفرقة»[١].

ويقول الشيخ بكر أبو زيد: «جزيرة العرب هي بارقة الأمل للمسلمين في نشر عقيدة التوحيد لإنها موئل جماعة المسلمين الأول، وهي السور الحافظ حول الحرمين الشريفين، فينبغي أن تكون كذلك أبداً يسمح لها بحال بقيام أي نشاط عقدي أو دعوي ـ مهما كان ـ تحت مظلة الإسلام مخالفاً منهاج النبوة الذي قامت به جماعة المسلمين الأولى صحابة رسول الله ﷺ وجدد وأعلى مناره الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى.

فالجماعة واحدة جماعة المسلمين تحت علم التوحيد على منهاج النبوة لا تتوازعهم الفرق والأهواء ولا الجماعات والأحزاب...»[٢].

ويقول في موضع آخر: «هذه الجماعات متعددة، بل الجماعة في نفسها متعددة إلى جماعات غالباً، والتعدد دليل على الاختلاف، وتعدد التعدد دليل على ضراوة الخلاف، والاختلاف نتيجة حتمية لاضطراب الأصول التي تنفرد بها كل جماعة وتدعو إليها، وتقييم جماعتها عليها، وهذا يناقض قاعدة الشرع المطردة من أن الحق واحد لا يتعدد وكل واحدة تقيم حرب التشكيك بما لدى

---

(١) الاستقامة (١/ ٤٢).

(٢) خصائص جزيرة العرب (ص٨٥، ٨٦).

الأخرى مدعية أن ما لديها هو الحق وما لدى الأخرى هو الباطل كلاً أو بعضاً»[(١)].

ويقول عبد الرحمٰن عبد الخالق: «... ولكن ما يحز في القلب أن يرى المسلم ـ في أيامنا هذه ـ أن هم جماعات الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ـ إلا من رحم الله منهم ـ قد انصرف إلى هدم بعضهم البعض، وأنهم ينفقون من أوقاتهم وأعمالهم في هذا الهدم أكثر مما ينفقون في البناء...»[(٢)].

وقال ابن القيم: «... وهذا لإن الطريق الموصل إلى الله واحد وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه ولا يصل إليه أحد إلا من هذه الطريق، ولو أتي الناس من كل طريق واستفتحوا من كل باب فالطرق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة إلا من هذا الطريق الواحد فإنه متصل بالله موصل إلى الله...»[(٣)].

وقال محمد البشير الإبراهيمي: «... أوصيكم بالابتعاد عن هذه الحزبيّات التي نجم بالشر ناجمها وهجم ـ يفتك بالخير والعلم ـ هاجمها وسجم على الوطن بالملح الأجاج ساجمها أن هذه الأحزاب كالميزاب جمع الماء كدراً وفرقه هدراً، فلا الزلال جمع ولا الأرض نفع...»[(٤)].

وقد سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز عن الفرق والجماعات والجمعيات فأجاب إجابة ضافية نجتزئ منها: «... ومما لا شك فيه أن كثرة الفرق والجماعات في المجتمع الإسلامي مما يحرص عليه الشيطان أولاً وأعداء الإسلام من الإنس ثانياً لإن اتفاق كلمة المسلمين ووحدتهم وإدراك الخطر الذي يهددهم ويستهدف عقيدتهم يجعلهم ينشطون لمكافحة ذلك والعمل في صف واحد من أجل مصلحة المسلمين ودرء الخطر عن دينهم وبلادهم

---

(١) حكم الانتماء (ص١٤٢).
(٢) الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي (ص٣٣).
(٣) التفسير القيم (ص١٤، ١٥).
(٤) عيون البصائر (٢/٢٩٢).

وإخوانهم، وهذا مسلك لا يرضاه الأعداء من الإنس والجن، فلذا هم يحرصون على تفريق كلمة المسلمين، وتشتيت شملهم وبذر أسباب العداوة بينهم، نسأل الله أن يجمع كلمة المسلمين على الحق وأن يزيل من مجتمعهم كل فتنة وضلالة إنه ولي ذلك والقادر عليه»[١].

وسئل العلامة الشيخ صالح الفوزان عن الجماعات وتفرقها فأجاب إجابة ضافية نجتزي منها «... فهذه الجماعات وهذا التفرق الحاصل على الساحة اليوم لا يقره دين الإسلام بل ينهى عنه أشد النهي، ويأمر بالاجتماع على عقيدة التوحيد وعلى منهج الإسلام جماعة واحدة وأمة واحدة كما أمرنا الله ﷻ بذلك، والتفرق وتعدد الجماعات إنما هو من كيد شياطين الجن والإنس لهذه الأمة فما زال الكفار والمنافقين من قديم الزمان يدسون الدسائس لتفريق الأمة...»[٢].

«... وعليه فإذا انعقدت فرقة أو جماعة أو حزب إسلامي تحت شعار معين مستحدث يعقد عليه الولاء والبراء. وإذا انعقدت ملتزمة بعضاً مما أمر الله به دون بعض، وإذا انعقدت لا توالي إلا من انتظم في سلكها دون من سواهم. وإذا انعقدت في بلد أهله على منهاج النبوة التي درج عليها السلف الصالح أهل السنة والجماعة مخالفة في أمر كلي أو جزئي أو رسم.

فكل هذه عقود محرمة لا تجوز لما فيها من البغي بغير الحق وهضم لجوانب في الإسلام، وميل عن طريق النبي ﷺ في الدعوة وشذوذ عن الأصل جماعة المسلمين وإيذان بتفرقهم وتشتيت لشملهم وكسر لوحدتهم...»[٣].

«... فيا طالب بارك الله فيك وفي علمك اطلب العلم وادع إلى الله تعالى على طريق السلف ولا تكن خراجاً ولّاجا في الجماعات فتخرج من السعة إلى القوالب الضيقة، فالإسلام كله لك جادة ومنهجاً، والمسلمون

---

(١) مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة (٥/ ٢٠٤).
(٢) مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري (ص٤٥).
(٣) حكم الانتماء (ص٦٣).

جميعهم هم الجماعة وأن يد الله مع الجماعة فلا طائفية ولا حزبية في الإسلام. . . »[١].

والمتأمل في حال الأمة الإسلامية اليوم يرى أن البدن الإسلامي مثخن بمحنة الأحزاب، حيث لا يهضمها ولا يرضاها لبوساً فهو بها يعايش علة انتحار داخلي في الأمة لإنها قضت على حرية الرأي والإبداع في الأمة، وقد تساقطت الفرق في الماضي الواحدة تلو الأخرى، ومن نهج نهجها سيقتفي أثرها في السقوط مهما كانت جذور حزبيته ضاربة في الأرض لإن هذه سنة الله في خلقه.

والحزبية كانت وما تزال حجاباً عن معرفة الحق لداء التعصب المقيت الذي يلازمها وهي كذلك من أسباب ضعف الغيرة على التوحيد الخالص ودليلنا على ذلك سكوت بعض الحزبيين عن أخطاء جوهرية في المعتقد لتأليف القلوب بزعمهم وساء ما يزعمون. والحزبية كذلك سبب للفرقة التي هي من أقوى المعاول التي حطّمت بها الأمة ولا تزال.

فالحزبيون لا يهمهم إلا أنفسهم ومن على شاكلتهم، وأما غيرهم فمهما كان صلاحه وتقاه فهو عقبة في طريقهم. والحزبيون لا يرون الدعاء لولي الأمر، وهذا من جهلهم وفاحش غلطهم.

سُئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله عن من يتمنع عن الدعاء لولي الأمر فأجاب: «. . . هذا من جهله وعدم بصيرته الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات ومن أفضل الطاعات ومن النصيحة لله ولعباده والنبي لما قيل له أن دوساً عصت قال: «**اللهم اهد دوساً وأت بهم**». يدعو للناس بالخير والسلطان أول من يدعى له لإن صلاحه صلاح للأمة فالدعاء له من أهم الدعاء، ومن أهم النصائح أن يوفق للحق وأن يعان عليه وأن يصلح الله له البطانة، وأن يكفيه الله شر نفسه وشر جلساء السوء فالدعاء له بأسباب التوفيق والهداية وبصلاح القلب والعمل من أهم المهمات، ومن أفضل القربات».

---

(١) حكم الانتماء (ص١٠٩).

ويقول فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: «أشهد الله تعالى على ما أقول وأشهدكم أيضاً أنني لا أعلم أن في الأرض اليوم من يطبق من شريعة الله ما يطبقه هذا الوطن أعني المملكة العربية السعودية، وهذا بلا شك من نعمة الله علينا فلنكن محافظين على ما نحن عليه اليوم، بل ولنكن مستزيدين من شريعة الله ﷻ أكثر مما نحن عليه اليوم لأنني لا أدعي الكمال وأننا في القمة بالنسبة لتطبيق شريعة الله. . .» إلى أن يقول: «. . . إننا في هذه البلاد نعيش نعمة بعد فقر، وأمناً بعد خوف، وعلماً بعد جهل وعزاً بعد ذل. بفضل التمسك بهذا الدين مما أوغر صدور الحاقدين وأقلق مضاجعهم يتمنون زوال ما نحن فيه، ويجدون من بيننا وللأسف من يستعملونه لهدم هذا الكيان الشامخ بنشر أباطيل وتحسين شرهم للناس. **«يخربون بيوتهم بأيديهم»**. ولقد عجبت لما ذكر من أحد الجهلة هداه الله ورده إلى صوابه يصور النشرات التي ترد من خارج البلاد التي لا تخلو من الكيد والكذب ويطلب توزيعها من بعض الشباب، ويشحذ هممهم بأن يحتسبوا الأجر على الله. سبحان الله هل انقلبت المفاهيم؟ هل يطلب رضى الله في معصيته؟ هل التقرب إلى الله يحصل بنشر الفتن وزرع الفرقة بين المسلمين وولاة أمورهم معاذ الله أن يكون كذلك».

وقال: «لقد انتشر في الآونة الأخيرة نشرات تأتي من خارج هذه البلاد وربما تكتب في داخل البلاد فيها سب ولاة الأمور، والقدح فيهم، وليس فيها ذكر أي خصلة من خصال الخير التي يقومون بها، وهذه بلا شك من الغيبة. وإذا كانت من الغيبة فإن قراءتها حرام وكذلك تداولها حرام، ولا يجوز لأحد أن يتداولها ولا أن ينشرها بين الناس، وعلى من رآها أن يمزقها أو يحرقها لأن هذه تسبب الفتن، وتسبب الشر. . .»[١].

أخي القارئ: إن الذين يمتنعون عن الدعاء لولاة الأمور ويجتهدون في بذر الفرقة. والخلاف بين عامة الناس وولاة أمورهم بنشر الكذب والزور وتضخيم بعض الأمور فوق حجمها وتوزيع المنشورات في كل مكان هم

(١) خطبة الجمعة بتاريخ ١٥/٦/١٤١٥هـ.

الحزبيون الذين أقلقهم ما تعيش فيه هذه البلاد من أمن وطمأنينة وتلاحم بين قيادتها وشعبها، ولكن الله حافظ دينه وناصر كلمته ومعز سلطانه ولو كره الحاقدون.

إن ولاة الأمر في هذه البلاد ـ بلاد الحرمين الشريفين ـ وهم يأخذون على أيدي بعض السفهاء والحاقدين، ويحاسبونهم كل حسب جرمه وخطئه، وينفذون فيهم شرع الله عن طريق المحاكم الشرعية. إنما يستجيبون لتوجيه العلماء ودعوتهم للأخذ على أيدي العابثين والمتربصين بهذه البلاد الدوائر. أما أن يترك الحبل على الغارب.

ويتغلغل إلينا الحزبيون وأصحاب الولاءات فهذا ما لا ترضاه هذه البلاد قيادة وعلماء وشعباً لأن الجميع عاهدوا الله على تحكيم شرعه وبايعوا ولي الأمر على ذلك. وستبقى هذه البلاد بمشيئة الله قوية بإيمانها، متمسكة بشرع الله، يتعاون فيها ولاة الأمر والعلماء وسائر أفراد الشعب على الضرب بيد من حديد على من تسول له نفسه تعكير الصفو أو تمزيق الصف أو بذر الخلاف والفرقة وتكفير الناس وحمل السلاح عليهم وقتل الأبرياء المعصومين، والله غالب على أمره ولو كره المجرمون.



تفرق الأمة
أسبابه وعلاجه

المتأمل في حال أمة الإسلام ـ في عصرنا الحاضر ـ يلحظ أن أمراضها قد تعددت وتشعبت وشملت جوانب كثيرة من شؤون الدين والدنيا، ومع ذلك فالأمة ما زالت ـ ولله الحمد ـ على قيد الحياة، لم تصب منها تلك العلل والأدواء مقتلاً على كثرتها وخطورتها. والسبب في ذلك دونما شك هو وجود الوحيين: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وصدق الله العظيم في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾ [الأنفال: ٣٣].

ولعل من أخطر الأمراض التي أصيبت بها أمة الإسلام مرض الإختلاف والتفرق، ذلك المرض الذي شمل مناحي الحياة كلها في كل حقل، وكل مصر وكل مجتمع، حتى خيم شبحه الأسود على نفوس الناس. فتلبد الجو بغيوم أوهام أمطرت وابلها على القلوب المجدبة، فأنبتت لفيفاً من الأقوام المتصارعة المتدابرة وكأن كل ما لدى الأمة من أوامر ونواه وتعاليم يحثها على الاختلاف، ويرغب بالتدابر والتناحر[1].

والإسلام حذر الأمة أشد التحذير من الفرقة والاختلاف، وندد باختلاف الأمة بأساليب مختلفة وردت بها النصوص من الكتاب والسنة. ولعل وحدة الأمة تعتبر القضية الثانية بعد التوحيد التي عالجتها مبادئ الإسلام وكانت حريصة كل الحرص على وحدة الصف وائتلاف القلوب وتظافر الجهود وتساند

(١) آداب الاختلاف في الإسلام (ص٨).

المساعي. ولذا ضرب لنا كتاب الله أمثلة كثيرة عن اختلاف الأمم السابقة، وبين في بعض الأحيان سبب هذا الاختلاف.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩]

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ [البينة: ٤].

وقد دلت هذه الآيات على أمرين جامعين:

أولهما: أن الاختلاف في الأمم السابقة كان مع وجود العلم بينهم، وليس في حالة فقرهم. كما قال تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ﴾.

الثاني: هو تحذير الله ﷻ للمسلمين من عدم التفرق مثلما تفرق الذين من قبلنا. كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟﴾.

ورغم ذلك الأمر الشرعي الإلٰهي بعدم التفرق والاختلاف، فقد جاء الأمر القدري التكويني بخلاف ذلك، ودلت الأحاديث الصريحة على وقوع الخلاف قدراً ـ لا محالة ـ بين هذه الأمة، ومن هذه النصوص الكثيرة.

١ ـ ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**تفرق اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**» وفي بعض الروايات «**كلها في النار إلا واحدة**»[1].

٢ ـ ما رواه سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلاً ثم انصرف إلينا، فقال ﷺ: «سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني

(١) رواه أبو داود في السنة برقم (٤٥٩٦)، والترمذي في الإيمان برقم (٢٦٤٢) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في الفتن مختصراً برقم (٣٩٩١)، والحاكم برقم (٦/١) وصححه على شرط مسلم، ورده الذهبي.

واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها»[١].

٣ ـ ما رواه ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وأني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ـ أو قال: من بين أقطارها ـ حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً**»[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية تعليقاً على هذه الأحاديث:

«وهذا المعنى محفوظ عن النبي ﷺ من غير وجه يشير إلى أن التفرقة والاختلاف لا بد من وقوعهما في الأمة، وكان يحذر أمته لينجوا منه من شاء الله له السلامة، كما روى النزال بن سبرة عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رجلاً قرأ آية، سمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها فأخذت بيده فانطلقت به إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له فعرفت في وجهه الكراهية وقال: «**كلاكما محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»[٣][٤] وبناء على ما سبق يجب أن يكون هدف كل داع إلى الله الاتحاد والألفة واجتماع القلوب والبعد عن الاختلاف والفرقة وكل ما يمزق الأمة ويضعفها ويؤدي إلى فساد ذات البين، لكن هذا الائتلاف المطلوب والوحدة المنشودة يجب أن تكون مبنية على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، إذ فيهما النجاة من الهلكة والبعد عن تسلط الأعداء والتخلص من تخطيطهم ومؤامراتهم، كما يجب أن يدرك المسلمون

---

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٨٩٠).

(٢) رواه مسلم في الفتن (٢٨٨٩).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٢٢، ١٢٣).

(٤) الحديث رواه البخاري برقم (٢٤١٠)، فتح الباري (٥/ ٧٠).

أن من أهم الفرائض وأفضل الطاعات الحفاظ على أخوة الإسلام ووحدة الصفوف، ونبذ كل ما يسيء إلى وحدة الأمة أو يضعف من عراها.

ونحن بهذه الوحدة المنشودة نقوى على التصدي لكل العقبات التي تقف في طريق الأمة، ويكفي في ذلك أن الرسول ﷺ أهدر دم المفرق للجماعة.

إن أمة الإسلام اليوم تتداعى عليها الأمم من كل حدب وصوب، تريد أن تطفئ جذوة الإيمان في نفوس المؤمنين. وأخوة الدين ووحدة القلوب بين المسلمين تحتل مرتبة عالية في الدين لأنها شقيقة التوحيد، لكن هذه الوحدة لا بدّ أن تكون مبنية على العقيدة الصحيحة البعيدة عن كل ما يخدش صفاءها ونقاءها.

أما أولئك الذين يبنون وحدتهم على شيء من التساهل في أمور شرعية كثيرة أو الاستهانة بمحرمات معلومة فهؤلاء مآل وحدتهم إلى الانهيار لإن أساسها غير متين. ولعل ما حدث خلال العقود المتأخرة في جسم الأمة الإسلامية من علل وأدواء كان سببها الرئيسي تعصب الحزبيات المقيتة والإنتماء لغير الله ورسوله، والولاء لفئات أو جماعات ترفع شعارات براقة، لكنها من الداخل جوفاء وسرعان ما يضيع المنتمون إليها ويجدون بينهم وبين الآخرين هوة سحيقة بسبب التعصب والولاء لغير المؤمنين.

وهذا الشرخ الذي حدث في الأمة فرقها بعد اجتماع، وشتت شملها بعد الوحدة، وأوهنها بعد القوة، ومكن الأعداء من النيل منها كل حسب مقصده ومشربه، وهؤلاء ـ الحزبيون ـ يظنون أنهم يخدمون الأمة ويحققون لها الخير على حين أنهم يوجهون الطعنات إلى قلبها النابض فيضعفوه، وجسمها الصحيح فيمرضوه، ولكن الله حافظ دينه ومعل كلمته مهما كان تخطيط الماكرين وكيد الكائدين[(١)].

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

يقول الشيخ صالح الفوزان: «ثم إننا نرى هذه الجماعات المنتسبة إلى

(١) تقديم لكتاب منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، فيه الحكمة والعقل (ص١٢).

الدعوة مختلفة فيما بينها، فكل جماعة تختط لنفسها خطة غير خطة الجماعة الأخرى، وتنتهج منهجاً غير منهجها، وهذه نتيجة حتمية لمخالفة منهج الرسول ﷺ، فإن منهج الرسول واحد لا انقسام فيه ولا اختلاف عليه.

كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

فاتباع الرسول ﷺ على هذه السبيل الواحدة لا يختلفون، وإنما يختلف من خالف هذه السبيل كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

ويقول الشيخ محمد أبو شقرة: «... وزاد من البلاء الذي أرجف الأرض من تحت أقدام المسلمين تفريقهم إلى جماعات وفئات كل جماعة ترفع شعاراً تريد أن يحمله الناس كلهم معها، وكل فئة تخطط لنفسها خطة تأبى على غيرها أن تنازعها إياها، وتدفع الحماسة كل عشرة التقوا على فكرة ما أن يكون لهم خطة وشعار. يريدون أن يكون لهم ما للجماعات والفئات الأخرى... ويكاد أن يحدث هذا كل يوم...»[(١)].

وكما أن العقيدة توقيفية، فكذلك المنهج الذي ينبغي أن يسير عليه المسلم توقيفي لا تجوز الزيادة عليه ولا النقصان منه، ولا يجوز استبداله بمنهج مغاير لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، ومن لم يسعه ما وسع الرسول والصحابة الكرام فلا وسع الله عليه في الدنيا والآخرة، وهذا المنهج بينه القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهو من الثوابت التي لا تتبدل على مر الأيام وكر الدهور، وهذا المنهج هو الذي تركنا عليه رسول الله ﷺ وهو ملزم لكل مسلم ولا يسع مسلماً يؤمن بالله واليوم الآخر مخالفته بحال من الأحوال. ومن الأدلة على ذلك ما يأتي:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

---

(١) تقديم لكتاب الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿... وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

فالنهي والتحذير عن التفرقة والاختلاف يدلان على وجوب التمسك والإلتزام بالمنهج الذي تركنا عليه رسول الله ﷺ، والآيات في ذلك كثيرة ذكرنا طرفاً منها فقط. أما الأحاديث فنذكر منها ما يأتي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**دعوني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[1]

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «.. **عليكم**

---

(١) رواه البخاري (٤/ ٤٢٢).

بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[١].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في حديثه المشهور: «**افترقت اليهود... وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**، قيل ما الواحدة؟ قال: **ما أنا عليه وأصحابي اليوم»**[٢].

وهذه النصوص من الكتاب والسنة تدل على أمور كثيرة منها:

١ ـ أن الاختلاف والتفرق كائن في هذه الأمة كما كان كائناً في الأمم السابقة. وصدق الله العظيم ﴿... وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] وقد أراد الله ذلك إرادة كونية قدرية.

٢ ـ نهى الله ورسوله عن التفرق والاختلاف وجاء التحذير منه في نصوص صريحة ذكرنا بعضها من باب التمثيل.

٣ ـ وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف هذه الأمة.

٤ ـ أن هناك منهجاً واحداً يجب اتباعه وهو ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه. ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾.

٥ ـ أن التفرق والاختلاف مذموم كله ويستثنى من ذلك اختلاف التنوع في الفروع.

٦ ـ أن هذا المنهج هو سبيل المؤمنين ومن لم يتبعه واتبع غيره من السبل فقد سلك غير سبيل المؤمنين وهو من المتوعدين بقوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

قال العلامة القرطبي حول قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ فأمر باتباع طريقه الذي طرقه على لسان نبيه محمداً ﷺ وشرعه ونهايته الجنة وتشعبت منه طرق، فمن سلك الجادة نجا، ومن يخرج إلى تلك

---

(١) رواه أبو داود برقم (٤٦٠٧)، والترمذي برقم (٢٦٧٨) وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه أبو داود برقم (٤٥٩٧)، والترمذي برقم (٢٦٤٠) وقال: صحيح.

الطريق أفضت به إلى النار[١].

وقد وصف الإمام أحمد السالكين لهذا الطريق المستقيم والمتساقطين حوله السالكين للطرق المعوجة الملتوية، فقال في رده على الزنادقة والجهمية:

«الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهم العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله تعالى الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم. فنعوذ بالله من فتنة المضلين)[٢].



(١) تفسير القرطبي (٧/ ١٣٧).

(٢) أعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٩).

التكفير
أسبابه، أخطاره، أضراره، آثاره

طلب العلم واجب على كل مسلم وذلك بالقدر الذي يتعلم به أمور دينه من عبادات ومعاملات وسلوك وغيرها وقد أكد الله هذا الأمر في كتابه وأكده رسوله ﷺ فيما صح من سنته. قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] وهذه الآية بعمومها فيها مدح أهل العلم وأنه يجب الرجوع إليهم في جميع الحوادث وسؤالهم ليخرج الناس من التبعة وفي ضمنها تزكية لأهل العلم وتعديل لهم لأنهم الذين يوجهون المجتمع ويمنعونه بإذن الله من الغرق في الضلالات والجهل.

وقال ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[١].

وقال ﷺ: «**إنما شفاء العي السؤال**»[٢].

وهذا الحديث يؤكد ما دلت عليه الآية من أن طلب العلم فيه الشفاء من الجهل وأنه يجب على الجاهل سؤال العلماء ليعبدوا الله على بصيرة. وإذا نكص الجاهل عن هذا المنهج أو رأى في نفسه الكفاءة والقدرة فإن ذلك بداية الانحراف عن الجادة لأن الجهل من أعظم أسباب الفرقة وهو الذي يحرف صاحبه عن الطريق الصحيح ويأخذ بيده لطرق ملتوية معوجة فيسير خلف كل ناعق ويتبع كل صاحب بدعة إذ لا حصانة عنده ولا بصيرة بالطريق الشرعي ومن أعظم البدع وأخطرها على الفرد والمجتمع بدعة التكفير التي نخرت في جسم الأمة الإسلامية منذ العصور الأولى إلى يومنا هذا. والبدعة في أصلها

---

(١) صحيح الترمذي (١/ ٤٤).

(٢) صحيح سنن أبي داود (١/ ٦٩).

ما استحدث بعد النبي ﷺ من الأهواء والأعمال فكل ما أحدث على خلاف الحق المتلقى عن رسول الله ﷺ وجعل ديناً قويماً وصراطاً مستقيماً فهو بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ولهذا حث صحابة رسول الله ﷺ على لزوم السنة وحذروا من البدعة ونفروا منها غاية التنفير فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «خط لنا رسول الله ﷺ خطاً قال: **هذا سبيل الله** ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: **هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه** ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم».

وظاهره التكفير مزلق خطير وقع فيه البعض جهلاً منهم أو محاكاة لأصحاب الأهواء الذين اندسوا في صفوف الأمة وأظهروا أنهم من أهل الصلاح والعلم والدعوة وهم في حقيقة الأمر من أهل البدعة. وتبدأ هذا الظاهرة في الشخص نفسه حين يشدد على نفسه ويحرمها من الطيبات التي أباحها الله تعالى، وقد نهى الباري جل وعلا الإنسان أن يشدد على نفسه فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

كما نهى رسول الله ﷺ عن ذلك بقوله: «**لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم**»(١) وقد نهى الله المؤمنين عن تحريم الطيبات فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [المائدة: ٨٧] وقد أنكر الله على من حرم زينته التي جعلها لعباده يقول تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: ٣٢].

---

(١) رواه أبو داود (٣٧٨٤).

ولعل من أخطر المصائب التي ابتلى بها المجتمع المسلم مسألة التكفير والتساهل فيه وإصدار الأحكام على الآخرين دون دليل وبرهان يعتمد عليه من يصدر الحكم وإنما الجهل والتسرع والتأثر بمناهج فكرية بعيدة عن المنهج المستقيم الذي سار عليه السلف الصالح من هذه الأمة ومن تبعهم ممن سار على دربهم إلى يومنا هذا، إن الحكم على شخص ـ ما ـ بالكفر حكم خطير وجريرة عظيمة لها آثارها الوخيمة فلا يجوز لمسلم أن يقدم عليه أو ينساق خلف من يصدرون الأحكام وكأن حظيرة الإسلام ملك لهم يدخلون فيها من شاؤوا ويخرجون منها من شاؤوا. إن إصدار حكم الكفر على شخص معين معناه ردة هذا الشخص وخروجه من ربقة الإسلام وزوال أهليته عن من تحت يده وطلاق زوجته منه وعدم إرثه وهذه أمور من العظائم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما**»[(١)].

وعن أبي ذر ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه**»[(٢)] وهذا وعيد عظيم لمن كفَّر أحداً من المسلمين وليس كذلك وهي فتنة عظيمة وقع فيها أقوام بتأويلات باطلة تدل على جهلهم وعدم فهمهم للنصوص الشرعية. لقد ظهر في حقل الدعوة الإسلامية في العصور المتأخرة نوع من الشباب أصيبوا بردة فعل خطيرة فصدرت منهم أقوال وأحكام على الآخرين تدل على خلل عقدي وشرخ سلوكي وسطحية في التفكير وعشوائية في التصرفات وهؤلاء النابتة معظم تصرفاتهم فردية وهم حسب ظني ـ يريدون جني الثمرة قبل نضجها لكن متى سبرت حالهم وجدتهم لا علم لهم بكتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ ولا بسيرة سلف الأمة ومسلكهم في الدعوة إلى الله. بل يقف هؤلاء عند بعض النصوص ويفهمونها فهماً خاصاً ويتمسكون به ويرفضون غيره مهما كان محل

---

(١) رواه البخاري (٣٢١٨)، ومسلم (١/ ٧٩).
(٢) رواه البخاري (٨/ ١٨)، ومسلم (١/ ٧٩).

اتفاق بين علماء الأمة في سلفها وخلفها. لذا ترتب على هذا الجنوح الفكري أمور خطيرة من أهمها التساهل في التكفير واطلاقه على الولاة والعلماء بل وعلى سائر الناس لا لشيء إلا لمخالفتهم لهم في المنهج. ومنها استخدام أسلوب القوة والتخريب والتدمير ومصادرة الأموال والممتلكات بحجة أن أفراد المجتمع كفار والكافر حلال الدم والمال ـ وساء ما يزعمون وهذا المسلك سعد به الأعداء وتلقوه بكل فرح وسرور بل وغذوه ونموه وأحيوه في نفوس الشباب وأثنت وسائل إعلامهم على هذا المنهج وهذه النوعية لأنهم يرون أن هؤلاء الشباب أفتك في مجتمعاتهم من أي سلاح وقد تحقق للأعداء ما أرادوا حيث بدأ هؤلاء الشباب ينخرون في مجتمعاتهم ترويعاً وتخريباً وتقتيلاً والمصيبة أنهم ينطلقون ـ حسب فهمهم ـ من منطلقات شرعية وأنَّى لهم ذلك فالإسلام يحرم ترويع المؤمنين ويشدد في تحريم أموالهم وأرواحهم وأعراضهم وقد أعلن هذا الأمر رسولنا ﷺ في حجة الوداع أمام الملأ فقال: «**ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا... اللهم هل بلغت اللهم فاشهد**»[١] وقد أكد علماء الإسلام سلفاً وخلفاً على خطورة فتنة التكفير وأنه لا يجوز لأي مسلم أن يخرج أحداً من الإسلام إلا إذا ثبت أنه ارتكب ما يخرجه من الإسلام وأقيمت الحجة عليه يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «... من أصول أهل السنة أن الدين والإيمان قول وعمل قول القلب واللسان والجوارح وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي...»[٢].



(١) رواه مسلم (٤/ ٣٩).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٥١).

الإرهاب

المملكة العربية السعودية مهد الإسلام ومهبط الوحي وبها الكعبة المشرفة قبلة المسلمين وبها المسجد النبوي الذي يقصده المسلمون من كل مكان هذه البلاد المباركة ترعى شرع الله وتعتني بكتابه حفظاً وطباعة.

ومناهجها الدراسية تهتم بالإصلاح الشامل للعقل والعواطف والوجدان وتحقيق التربية الجادة من كل الجوانب وهذه البلاد أيضاً ترعى الخير وتحث عليه وتمد يدها لكل مسلم محتاج توجيهاً ودعماً هذه الأفعال أقضت مضاجع الأعداء فراحوا يبحثون عن الوسائل للتشكيك في هذه البلاد ووصفها بأنها تغذي الإرهاب وتفرِّخ أفراده ولذا اتهموا هذه البلاد ـ المملكة العربية السعودية ـ بتهم كثيرة وما علم هؤلاء وأذنابهم أن هذه البلاد هي البلد الأول الذي حارب الظلم والعنف والطغيان منذ فجر الإسلام إلى اليوم فالإرهاب لا يتفق مع الدين ولا مع الأخلاق ولا مع النخوة والمروءة والشهامة وكل هذه الأمور تنطلق من هذه البلاد المباركة فهي مهد الخير ومنبع الأخلاق الإسلامية وبلاد النخوة والمروءة والشهامة.

ولكن هناك سؤال يطرح نفسه لماذا تسلط مجموعة من شبابنا على القيام بزعزعة أمن بلادهم وتصديق الأعداء فيما يقولون وهنا نقول إن الأعداء أنفسهم هم الذين سخروا هؤلاء الشباب من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون للقيام بهذه الأفعال المشينة وأصبح هؤلاء الشباب مثل الدمى يتحركون حسب التوجيه ويأخذ بعضهم توجيهات البعض دون نظر أو تمحيص.

لقد قرأنا وسمعنا من مقابلة بعضهم في السجون أنهم يقولون وصلنا إلى حد أننا لو وقف أحد والدينا أو أقاربنا في وجهنا لقتلناه إذاً هذا هو غسل

الدماغ وحقن الفكر الوافد وذلك بتزيين أفكار التكفير والتفجير ووصف المجتمع بأنه متخاذل وأنه مداهن وأنه يخدم الأعداء ولذا أصبح اطلاق الكلمات الخطيرة سهلاً عليهم فيصِفون الناس بالفسق والضلال والطغيان حتى من خالفهم ممن كان معهم يوصف بهذه الصفات.

إن المسؤولية عظيمة والأمر خطير ونحتاج إلى جهود مكثفة لتطهير مجتمعنا من هذه الأفكار.

وهنا نؤكد على مسؤولية البيت والمسجد والمدرسة والجامعة ووسائل الاتصال المسموعة والمرئية والمقروءة.

إنها مسؤولية الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات والعلماء وأئمة المساجد وخطباء الجوامع ورجال الفكر وأرباب القلم لا بد أن يبين الجميع للشباب أن هذه الأعمال الإجرامية لا يقرها الدين ويوضحوا للجيل أن ترويع الآمنين وإخافتهم أمر محرم لأي سبب كان فكيف إذا كان الأمر قتلاً وتفجيراً وتدميراً لا بد من بيان الأمر وتجليته وبيان بعض المصطلحات التي لبَّس الأعداء فيها على الشباب وأهم هذه المصطلحات ـ كلمة الجهاد ـ التي ظلمها هؤلاء الشباب وفهموها فهماً أعوجاً وزعموا أن ما يقومون به من أعمال التفجير والتدمير يعتبر جهاداً والجهاد الحقيقي هو أن تلقى عدوك الكافر المحارب في ساحات القتال عندما يعتدي على وطنك وعرضك ويدمر ممتلكات ويقتل الأبرياء من أبناء أمتك ودينك أما التفجير بين المسلمين والمستأمنين وترويع الآمنين فهذا تخريب وإفساد ومحادة لله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾.

إن من أفضل الوسائل التي نحمي بها شبابنا من هذه الشرور أن نحرص على تنقية الوسط الذي يعيشون فيه من المعاصي والمفاسد والانحرافات وتطهيرها من الرذائل والإنحلال والفجور وإقامة المجتمع على البر والتقى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتمسك بالأخلاق الكريمة وهنا يشعر الفرد أنه يعيش في مجتمع بهمة وسلامته واستقراره وأن يمس هذا المجتمع

يمس هذا الفرد من خلال اطلاع هؤلاء على النصوص الكثيرة في هذا الباب قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ وقال ﷺ: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**».

وذكر ﷺ في الحديث القدسي عن ربه أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**».

وجاء في الحديث عنه ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**».

وقال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ثم شبك بين أصابعه**».

كل هذا أيها المؤمنون ينمي في شبابنا الحرص على مصلحة المجتمع وعدم افزاعهم وإلقاء الرعب في أوساطهم من خلال أي عمل إجرامي يقوم به أي فرد من هذا المجتمع لأنه يدرك أنه يخسر نفسه ويضر أقرب الناس إليه وهنا لا يمكن أن يقدم على ذلك إذا كان عنده فسحة من عقل أو وعي أو دين.

وهنا متى تربى شبابنا على أسس ومبادئ الإسلام ووجدوا المحصن الجيد وتحقق لهم التوازن في تربيتهم عقلياً وروحياً واجتماعياً فلن يستطيع أحد أن يغرر بهم مهما كانت الأعذار والمبررات وهنا بحول الله يكون شبابنا جنوداً مخلصين يدافعون عن الدين والعرض والأمة والبلاد ويدفعون كيد الأعداء إلى نحورهم في كل الميادين ويومذاك يفرح المؤمنون بنصر الله والله ينصر من يشاء.

أسأل الله بمنه وكرمه أن يرد كيد الأعداء إلى نحورهم.



عظائم التفجير ومخاطره

هذه البلاد المباركة ـ المملكة العربية السعودية ـ بلاد الحرمين الشريفين منطلق الرسالة ومأرز الإيمان ومعقل الدعوة كانت وما زالت ولن تزال بحول الله تنطلق منها جحافل الخير تحمل النور والخير والهداية للبشرية جمعاء فهي المؤهلة لهذا العمل العظيم فكتاب الله تنزل في أراضيها والرسول بعث من بطاحها والحرمان هما قلبها النابض.

لكنها ـ كغيرها ـ ابتليت بالحقد والحسد وقد أخذت نصيباً وافراً من الكيد والمكر من قبل الأعداء لأنهم يريدون لها أن تقف في وسط الطريق أذهلهم تماسكها وخنقهم أمنها وأقلق مضاجعهم الخير المتدفق منها.. فاجتهدوا في التأثير عليها عبر قنوات فاسدة وأفكار مضللة وشبهات واهية يحاول الأعداء تضليل أبناء هذه البلاد بتفريق الصف وخلخلة البناء وقد وجدوا من يعينهم ويخدمهم دون وعي أو بصيرة أو إدراك لمخاطر الأمور.

هذه التفجيرات الخطيرة التي وقعت في جنح الظلام تروع الآمنين وتسفك الدماء الطاهرة من المسلمين تعتدي على الحرمات والممتلكات نساء وأطفال وعجزة وعجائز لا ذنب لهم إطلاقاً ماذا سيقول الفاعلون إذا وقفوا أمام ربهم وجاء من قتلوه تثعب جراحهم يخاصمونهم هل سيحتجون بشبه واهية أو فكر مضلل دخيل.

كيف تتظافر جهودنا جميعاً إذا حكم على شخص بالقصاص ونتعاون لاعتاقه مع أنه أقدم على القتل كل ذلك حرصاً على حياة نفس وهؤلاء يقتلون العشرات دون ذنب أو جريرة.

أليس قتل المسلم من أعظم الذنوب التي يقابل بها العبد ربه يوم القيامة ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾.

رسولنا ﷺ حذر من الظلم وأعلن في حجة الوداع ميثاقاً عجزت المنظمات والهيئات أن تصل إلى ما يدانيه «**إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا اللهم هل بلغت**» قالها (ثلاثاً) ها نحن إذا اعتدى شخص أو أشخاص على سرقة مال من بيت أو محل تجاري نعاقبه بقطع اليد رادعاً وزاجراً له وهذا من الرحمة به لأن هذا هو الجزاء المناسب له.

إن أمتنا في بلادنا المباركة أصبح مضرب المثل وهذا ما جعل جهات كثيرة تظهر مكرها وكيدها لخلخلة هذا الأمن الضارب في هذه البلاد لكن هؤلاء لا يعلمون المصدر الحقيقي لهذا الأمن ولذا مهما خططوا ومكروا فلن يصلوا إلى مرادهم.

إن مصدر الأمن في بلادنا هو التمسك بشرع الله ولذا مهما حاول الأعداء الكيد والتآمر فلن يصلوا إلى مطلوبهم ما دامت هذه البلاد تتمسك بشرع الله ومن ذلك:

١ ـ في هذه التفجيرات هتك لحرمات الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة هتك لحرمة الأمن والاستقرار واعتداء على حياة الآمنين في مساكنهم ومعاشهم بل هتك لمصالح الناس التي لا بد لها منها.

٢ ـ هذا العمل يتضمن أنواعاً من المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة مثل الغدر والخيانة والبغي والعدوان.

ولعلاج مثل هذه الظواهر في المجتمع يلزم كل مسلم قادر أن يدلي بدلوه بالحوار الهادئ الرزين من العالم والداعية وبالمتابعة الجادة والحراسة الواعية من قبل رجال الأمن ورجال الحسبة والتوجيه الصادق من قبل المعلمين والخطباء وأئمة المساجد والقدوة الصالحة من قبل الآباء والأمهات والمتابعة الدقيقة لأبنائهم وجلسائهم في حلهم وترحالهم.

أسأل الله بمنه وكرمه أن يحمي بلادنا وأن يحفظ عليها أمنها وأمانها وأن يكفينا شر الأشرار وكيد الفجار وما يخطط له الكفار إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

أسباب الانحراف عند الشباب

بعض الأجسام يكون مصاباً بداء خطير دون أن يظهر شيء من أعراض تراها فتظنها في خير وعافية ثم فجأة يصاب بمضاعفات حادة فيتداعى ذلك الجسم الذي ظاهره الصحة والعافية وهنا يهرع الأطباء إلى تشخيص الداء لمحاولة إنقاذ ذلك الجسم المتداعي ولكن دون جدوى ولو كان الأمر عند بدايته لأمكن في قليل من الجهد والوقت إدراك الداء وتشخيصه ووصف العلاج الناجع له بإذن الله والفرق كبير جداً بين حالة ـ العلاج ـ وـ الوقاية ـ لأننا في حالة العلاج نطبب جسماً مريضاً يتصارع فيه المرض والداء وأيهما غلب كانت له النهاية أما في حالة الوقاية فإننا نحصن جسماً سليماً صحيحاً فنمنحه قوة إلى قوته فيبقى قوياً متماسكاً إذ لا يمكن أن يغلب ضعف قوتين بإذن الله إن الشباب رصيد الأمة الذي تواجه به مسؤولية المستقبل وأمة تفرط في حسن تربية شبابها تقدم على مستقبلها بغير رصيد فجدير بنا أن نبذل كل ما في وسعنا لتحقيق الإصلاح المنشود وليبدأ البيت المسلم بإعداد بنيه ليكونوا أمناء على مستقبل أمتهم ويعودوا بالخير على وطنهم الذي بذل لهم الكثير ويردوا شيئاً من الجميل الذي خصتهم به قيادتهم وولاة أمورهم حيث وفروا الإمكانات كافة ويسروا سبل الحياة الكريمة الهادئة لجميع فئات المواطنين.

إن أبرز أسباب انحراف الشباب ترجع إلى ما يأتي:

البيت، الشارع، المدرسة، الإعلام، التبرج والاختلاط، الفكر المنكوس، الدعوة على غير بصيرة والولاءات لغير الله ورسوله والمؤمنين ويصاحب هذه الأمور كلها الفراغ القاتل، الذي يمر به الفتيان والفتيات فالبيت هو التربة التي ينبت فيها الطفل ويضرب بجذوره في أعماقها ويرى فيه كل دنياه ساعة يفتح عينيه لأول مرة على مسرح الحياة فوالداه هما كل شيء في حياته.

فالطفل الذي ينشأ بين أبوين صالحين يأتمران بأمر الله وينتهيان بنهيه يشب مثلهما تقياً صالحاً يراهما يصليان فيصلي مثلهما ويصومان فيصوم وترى البنت أمها تستتر عند خروجها خارج البيت وتغطي وجهها وتلبس جلبابها فتفعل مثلها وهكذا.

إن كل طفل يخرج إلى الحياة يحمل معه خصائص الطبع الذي كان مسيطراً على جو البيت إن خيراً فخير وإن شراً فشر فالوالد سر أبيه والبنت سر أمها ووراثة سلوك الآباء والأمهات عند الأبناء والبنات من الحقائق المسلم بها وعلى هذا فإن أي تفكير في إصلاح الناشئة يجب أن يبدأ من البيئة الداخلية ـ البيت ـ والمسؤولية هنا تقع على الآباء والأمهات، وصدق القائل:

وينشأ ناشئ الفتيات منا ... على ما كان عوده أبوه

والخلاصة: أن البيت هو التربة التي يمتص الناشئة منها كل خصائصهم ومقوماتهم فليتق الله فيهم أبواهم.

ومن أسباب انحراف الناشئة الشارع فهو من المزالق الخطيرة لأنه غير متجانس فالناس يلتقون فيه من كل نوع صغار وكبار رجال ونساء فتيان وفتيات عامة وخاصة قد لا يعرف بعضهم بعضاً لا يربطهم إلا الرؤية العابرة التي قد تكون أول مرة وآخر مرة كل يسعى لمطلبه ومبتغاه حوائجهم متعددة يسعون في تحصيلها سعياً حثيثاً. هذه البيئة ـ الشارع ـ أخطر على الناشئة من كل شيء لأنه يخلو من التجانس والتآلف والنظام والانضباط.

والخلاصة: أن الشارع أولى النوافذ التي يرى منها الناشئة مسرح الحياة بعد البيت فينبغي أن نوليه كل العناية والرعاية والاهتمام.

والمدرسة لها شأن كبير في حياة الناشئة إذ هي تستبد بمرحلة طويلة وخصبة من سني حياتهم إذ يقضون فيها أعواماً طويلة كفيلة بأن تربيهم تربية جادة علمياً وثقافياً وخلقياً واجتماعياً ووطنياً ليكونوا عناصر صالحة لأداء رسالتهم في الحياة والقيام بواجبهم والوفاء لأمتهم وولاة أمرهم والدفاع عن مقدساتهم.

والخلاصة: أن المدرسة تضع العلم وتصقل العقل وتنمي العقيدة وتلقن الناشئة خصائص الأمة ومقومات حياتها فينبغي أن تكون المدارس مرآة صدق وسبيل نجاح وأن يكون الأساتذة والمعلمات فيها خير قدوة للفتيان والفتيات.

ومن أسباب انحراف الناشئة: الجفاء والبعد بين الشباب وكبار السن من أهليهم وغيرهم وهذا الأمر يجعل الشباب حيارى يسيرون خلف كل ناعق ويستمر نفورهم من أهليهم ويقعون ضحايا لأصحاب الشر الذين لا يريدون لهم خيراً وعلاج هذا الأمر بإزالة الجفوة والتقارب بين أهل الرأي والحكمة من الكبار وأصحاب الفتوة والنشاط من الصغار ويكون الجميع كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

ومن الأسباب أيضاً: الإتصال بقوم منحرفين ومصاحبتهم سواءً كان انحرافهم في فكرهم أو سلوكهم وما أكثر هذا النوع في وقتنا الحاضر بحيث يزينون للناشئة أفكارهم ويصبغونها بصبغة الخير وحب الإصلاح وهم أبعد الناس عن الخير لا يريدون للناشئة ولبلادهم إلا الشر والفساد والعياذ بالله وعلاج هذا الأمر أن يختار الشاب لصحبته من كان ذا خير وصلاح وعقل من أجل أن يكتسب من خيره وصلاحه وعقله ويبتعدون عن أهل الشر والفساد أو الذين يتلبسون بلباس الخير من أصحاب الأفكار الشاذة والدعوات المضللة وهذان الصنفان يمثلان طرفي المشكلة المُفْرِطين والمُفَرِّطين والوسط هو الخير وصدق من قال:

إبل الرجال إذا أردت إخاءهم ... وتوسمن أمورهم وتفقد

فإذا ظفرت بذي اللبابة والتقى ... فيه اليدين قرير عين فاشدد

ومن الأسباب: قراءة بعض الكتب الهدامة من رسائل هابطة وصحف ماجنة ومجلات خليعة تفد إلينا من الخارج والكثير منها يشكك المرء في دينه وعقيدته ويجره إلى هاوية التفسخ والأخلاق الرذيلة.

وعلاج هذا الأمر بأن يبتعد عن قراءة مثل هذه الكتب ويستبدلها بكتب تغرس في قلبه محبة الله ومحبة رسوله ومحبة ولاة الأمر والعلماء والأخيار

والصالحين. ومنها: السفر إلى الخارج: بعض الآباء يتهاون في سفر أبنائه للخارج وهم في سن المراهقة ولذا يعودون وقد تأثروا كثيراً بما في هذه البلاد من تيارات فاسدة وولع بالجريمة وتهاون بفرائض الله وجرأة على المخدرات وغيرها فيصبح هذا الشاب لبنة فاسدة لا ينفع نفسه ولا أسرته ولا أولاده.

بل يعيق هؤلاء وكم من الشباب رجعوا وقد حملوا أمراضاً خطيرة وأفكاراً شاذة فهل يعي الشباب هذا الخطر وهل يعي الآباء هذا الخطر العظيم فيمنعوا أبنائهم من السفر خارج البلاد إلا لحاجة ملحة ويكون معهم من يسددهم ويقوم اعوجاجهم.

ومنها: النزاع والشقاق بين الآباء والأمهات أو قل المشاكل الأسرية فإذا دب الخلاف بين الزوجين على أمر من الأمور فيحسن أن يكون النقاش بعيداً عن الأولاد لأن اختلاف الوالدين في وجهات النظر أمام الأولاد له آثار عكسية إذ يبحثون عن جو أكثر هدوءاً من جو البيت الذي يعج بالمشكلات وكذلك إذا وقع الطلاق ذلك أن الأب سيعيش في جهة والأم في أخرى والأولاد الضحية فإن تبعوا الأب وجدوا معاملة سيئة من زوجته الجديدة وهذا في الأعم الأغلب وإن تبعوا الأم وجدوا معاملة سيئة من زوجها الجديد وهذا في الأعم الأغلب.

ولذا يبحثون عن جو فيه هدوء وعدم أذية وغالباً ما يلجأون لأصدقاء السوء الذين يدفعونهم لأشكال الجريمة ويستخدمونهم كأدوات يحققون من خلالهم ثراء محرماً عن طريق السرقة والفواحش والمخدرات وغير ذلك من أشكال الجريمة ويلحق بذلك غياب أحد الوالدين أو أحدهما مدة طويلة عن الأولاد مهما كانت مبررات هذا الغياب لأن له آثاراً سلبية على حياته.

وكذلك قسوة الوالدين أو أحدهما وخصوصاً الأب في معاملة أولاده فكل ذلك يدفعهم للجريمة بكل أشكالها ومن ثم ينتهي بهم الأمر إلى السجن وهم في سن لا يميزون خلالها بين النافع والضار بل يعيشون تحت مؤثرات وضغوط نفسية حادة.

وعلاج ذلك كله بأن يخيم جو المحبة والصفاء والوئام على الأسرة وإذا حصل فيها خلل أو شرخ فيعالج بعيداً عن نظر الأولاد. وكذلك إذا تأزمت الأمور ولم يكن إلا الطلاق علاجاً فينبغي مراعاة مسألة الأولاد والعناية بهم وألا يؤثر تفرق الوالدين عليهم سلباً وعلى رجال التعليم وأصحاب الأقلام ووسائل الإعلام مسؤولية كبيرة في توجيه الناشئة والأخذ بأيديهم لخدمة دينهم ووطنهم وولاة أمرهم.

وكذلك خطباء المساجد تقع عليهم مسؤولية كبيرة لأنهم يخاطبون الأولاد والوالدين في وقت واحد فليتقوا الله في المسلمين وليعالجوا ما يحتاج الناس إليه.



الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدعوة إلى التوحيد

الدعوة إلى الله هي سبيل الرسول ﷺ وأتباعه، وقد نوه الله عن ذلك بقوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

والدعوة إلى الله مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم جميعاً لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن النار إلى الجنة. وقد بدأ رسل الله جميعاً دعوتهم بالأهم فالأهم فدعوا إلى إصلاح العقيدة بالأمر بإخلاص العبادة لله والنهي عن الشرك، ثم الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الواجبات وترك المحرمات.

والمتأمل في سيرة وطريقة خاتم الرسل محمد ﷺ في الدعوة يرى أنه مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعوا الناس إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك قبل أن يأمرهم بالصلاة والزكاة والصوم والحج. وقبل أن ينهاهم عن الزنا والربا والسرقة وقتل النفس بغير حق. **وهذا المنهج** الواضح هو الذي سار عليه أئمة الدعوة في الجزيرة العربية وعلى رأسهم الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث ركز على التوحيد وتصحيح العقيدة لأن غيره من الواجبات من حقوقه ومكملاته وتابع له. لقد تجرد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ للدعوة إلى الله على بصيرة، وجاهد في رد الناس إلى ما كان عليه أهل السنة والجماعة من إفراد الله بالعبادة وترك التعلق بغير الله والاعتقاد فيما دونه متبعاً في ذلك سنة رسول الله ﷺ. وكان من تمام توفيقه وتأييده أن قيض الله له من الأمراء من ينصره ويعينه ويقف معه، إذ عرفوا صدقه وحرصه على الإسلام

وتصحيح عقيدة الناس بنص الوحي وحد السيف، فمن نفع معه الدعوة بالحكمة واللين واقتنع بالحجة فذاك، ومن عاند وجحد ووقف في وجه زحف عقيدة التوحيد استعمل معه حد السيف إذ لا علاج له إلا بالقوة.

وصدق الله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقد استمرت الحال على ذلك في جزيرة العرب أئمة يدعون الناس إلى الهدى والرشاد ويصححون عقائدهم وحكام يساندونهم ويدافعون عنهم بكل قوة، فحصل من الخير والفضل والأمن والأمان في هذه الجزيرة ما لا يعلم مداه إلا الله.

وحد الله أهلها بعد الفرقة، وأطعمهم بعد الجوع، وآمنهم بعد الخوف، وتحولت الدويلات الصغيرة الكثيرة المتناحرة في الجزيرة إلى دولة واحدة مترامية الأطراف مميزة في دينها ودنياها. وأصبحت هذه البلاد مناراً للعلم والمعرفة، ومقصداً لطالب الأمن والمال ممن لا يجد ذلك في بلاده.

يقول الشيخ سعد الحصين: «... واستخلف الله عباده الموحدين في أرض الجزيرة كما استخلف الذين من قبلهم ومكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وبدلهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونه لا يشركون به شيئاً. وفتح الله لهم خزائن الأرض فجمع لهم خير الدنيا إلى خير الدين، وجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ورزقهم من ثمرات الأرض كلها لعلهم يشكرون. وسيبقى الأمر كذلك بإذن الله ما حفظوا عهدهم مع الله ـ ثبتهم الله على ذلك ـ وعادت الدعوة إلى الله على بصيرة تنطلق من جزيرة العرب إلى مشارق الأرض ومغاربها بتوظيف الدعاة وتأسيس معاهد العلم الشرعي ونشر كتبه. وأنتجت بفضل الله أئمة يهدون بأمر الله ويدعون إلى سبيله على النهج الذي ارتضاه لرسله»[1].

إن من الحقائق الثابتة التي لا تقبل الجدل أنه متى صحت العقيدة

---

(١) حقيقة الدعوة إلى الله (ص٥١، ٥٢).

صلحت أعمال المسلمين لأن العقيدة الصحيحة تحمل المسلم على الأعمال الصالحة وتوجهه إلى الخير وتمنعه من الشر فتكون أفعاله حميدة وأخلاقه حسنة وتعامله حسب الشرع المطهر أخذاً وعطاءاً لأن المسلم متى شهد أن لا إلٰه إلا الله شهادة مبنية على علم ويقين ومعرفة لمدلولها وفهم لمعناها توجَّه إلى الأعمال الصالحة لأن الشهادة ليست مجرد لفظ باللسان، بل هي عنوان للاعتقاد والعمل ولا تنفع صاحبها إلا إذا قام بمقتضاها فأدى أركان الإسلام وأركان الإيمان وما يتبع ذلك من سائر الواجبات وتشريعات الإسلام وآدابه وأحكامه.

يقول العلامة الشنقيطي: «. . . والحاصل أن الرابطة الحقيقية التي تجمع المفترق وتؤلف المختلف هي راية ـ لا إلٰه إلا الله ـ ألا ترى أن هذه الرابطة التي تجمع المجتمع الإسلامي كله كأنه جسد واحد وتجعله كالبنيان يشد بعضه بعضاً عطفت قلوب حملة العرش ومن حوله من الملائكة على بني آدم في الأرض مع ما بينهم من الاختلاف. . .».

إلى أن قال: «. . . وبالجملة فلا خلاف بين المسلمين أن الرابطة التي تربط أفراد أهل الأرض بعضهم ببعض وتربط بين أهل الأرض والسماء هي رابطة ـ لا إلٰه إلا الله ـ فلا يجوز البتة النداء برابطة غيرها. . .»(١).

وهذه الرابطة هي التي بنى عليها أئمة الدعوة منهاج دعوتهم المتصل بدعوة الأنبياء والرسل سليمة من الأهواء والأوهام والانحراف، مبرأة من مظاهر الشرك وتبعات الغلو، **وقد امتدت** هذه الدعوة ولله الحمد إلى أصقاع كثيرة من العالم تنشر التوحيد النقي وتقدمه للناس بعد أن كدر صفوه كثير من الشوائب في شتى ديار الإسلام، وقد قيض الله هذه الدعوة المباركة في هذه الجزيرة ـ مأرز الإيمان ومهوى أفئدة المسلمين ـ لتكون المنطلق للدعوة الصافية النقية ثابتة على الحق رغم عوادي المعتدين وكيد الكائدين.

يقول الشيخ بكر أبو زيد: «. . . وفي هذا إشارة وإيماء إلى أن كل فتنة

---

(١) أضواء البيان (٣/٤٤٧، ٤٤٨).

عمياء صماء تجتاح بلاد الإسلام تتحطم على صخرة هذه الجزيرة، وإذا كانت فتنة الدجال هي أعظم فتنة من لدن نوح عليه السلام إلى قيام الساعة، ويكون تحطيمها على يد رجل مؤمن من هذه الجزيرة فإن كل فتنة دونها ستتحطم على يد أبناء هذه الجزيرة بإذن الله»(١).

وهذه الجزيرة في العالم الإسلامي ـ بمثابة ـ مركز القلب في الجسم الإنساني الذي إذا عاش وقوى وأدى رسالته في الجهاز الجسمي والنظام الحيوي الصحي عاش الجسم وقوي، وإذا دب الوهن إلى هذا القلب أو أعتقل وتخلى عن وظيفته ودوره أسرع إليه الموت واستولت عليه الأمراض والعلل وعجز الأطباء الحاذقون من إعادة الحياة إليه بالطرق الصناعية(٢).

إن الدعوة إلى التوحيد هي دعوة الرسل جميعاً من أولهم إلى آخرهم على اختلاف في الأساليب والأمكنة والأزمنة والوسائل. أما المطلب فواحد ذكره الله في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣].

تلك هي دعوة الأنبياء جميعاً وعلى رأسهم أولو العزم منهم الأنبياء الذين يبلغ تعدادهم أربعة وعشرين ألفاً ومئة ألف يسيرون في دعوتهم في منهج واحد، وينطلقون من منطلق واحد هو التوحيد أعظم القضايا والمبادئ التي حملوها إلى الإنسانية جميعاً في جميع أجيالهم ومختلف بيئاتهم وبلدانهم وأزمانهم.

وها هو نوح عليه الصلاة والسلام يدعو قومه دعوة جادة إلى توحيد الله وعبادته وحده في جهد دائب، ما ترك وسيلة تمكنه إلا استخدمها لاقناعهم بدعوته سراً وجهاراً وترغيباً وترهيباً ووعيداً واحتجاجاً واستدلالاً بالأدلة

(١) خصائص جزيرة العرب (ص٧٤).

(٢) كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب للندوي (ص٣ ـ ٥).

العقلية والحسية من واقع أنفسهم وحياتهم، ومما بين أيديهم من السماء والأرض وما فيهما من آيات وعبر ومثله خاتم الأنبياء وسيدهم محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، حيث بدأ بما بدأ به كل الأنبياء وانطلق من حيث انطلقوا بدعواتهم من عقيدة التوحيد والدعوة إلى هذا المبدأ الأسمى والمطلب الأعلى طيلة العهد المكي من رسالته ثلاثة عشر عاماً لا يكل ولا يمل، صابراً على كل ألوان الأذى في سبيل نشر المبدأ فلم يفرض عليه من التشريعات وأركان الإسلام إلا الصلاة في السنة العاشرة من البعثة[١].

يقول الشيخ أحمد بن حجر: «... ولا زالت الدعوة تزداد نفوذاً وقوة وانتشاراً ما كرت الليالي والأيام ورد الله كيد الأعداء في نحورهم وعاملهم بنقيض قصدهم فانتشرت دعوت الشيخ في سائر الأقطار وعرف كثير من الناس صحتها وحقيقتها، وأنها لا تخرج عن نطاق الكتاب والسنة، فاعتنقها كثيرون وألف جمع من المعتنقين لها كتباً في تأييدها والدفاع عنها...»[٢].

وقد بارك الله في هذه الدعوة، وكان لها من الآثار الإيجابية ما جعل الكثيرين يحسدون أئمتها ويضيقون عليهم، ولكن الله قيض لهم آل سعود فاجتمعت القوة والحكمة والسلطان والعلم، وانتشرت بفضل الله الدعوة الصادقة الخالصة من شوائب الشرك، ولعل من أبرز آثار هذه الدعوة المباركة ما يأتي:

١ ـ قضت هذه الدعوة المباركة قضاءاً تاماً على ما كان شائعاً في «نجد» من الخرافات وتعظيم القبور والنذر لها والاعتقاد في بعض الأشجار، وأحيت معالم الشريعة بعد اندثارها.

٢ ـ أعادت هذه الدعوة الذين انضموا تحت لوائها إلى التوحيد الخالص من شوائب الشرك والوثنية، كما أعادتهم إلى الكتاب والسنة المطهرة وتحكيمها في كل الأمور.

---

(١) منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل (ص٤٣، ٥٢، ٧٢).
(٢) الشيخ محمد عبد الوهاب (ص٦٥) بتصرف يسير.

٣ ـ نشرت هذه الدعوة المذهب الحنبلي ـ مدرسة الأثر ـ وهي المدرسة التي تعني بالسنة وتستند عليها في أقوالها ويكفي أن إمام هذا المذهب هو إمام أهل السنة في زمانه، ولا تزال هذه المدرسة ترتفع معالمها في المملكة العربية السعودية دون تعصب أو استخفاف بالآخرين، بل الرائد لأهلها الدليل الصحيح متى وجدوه فهم أسعد الناس به ولله الحمد والمنة.

٤ ـ وحدت هذه الدعوة أتباعها بعد أن كانوا متفرقين لا تجمعهم رابطة ولا يجمعهم حكم شرعي وقد وفق إمام الدعوة المجدد لجمع المدعوين تحت رابطة «لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله» فخضعوا لها وأصبحوا تحت سلطان واحد يسوسهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٥ ـ نشرت هذه الدعوة علوم الشريعة من التفسير والحديث والتوحيد والفقه والسير والتواريخ وما يحتاج إليه من علوم العربية بعد أن كان الجهل يخيم على هؤلاء ويضرب أطنابه في ديارهم، وقد ظهرت آثار الدعوة جلية في هذا الجانب فانتشرت العلوم والمعارف وفتحت المدارس والجامعات وأصبحت بلاد هذه الدعوة مصدراً للإشعاع ومنطلقاً للمعرفة ألا ترى أنها خرجت فطاحلة العلماء الذين كان لهم الأثر الكبير في النهضة العلمية المعاصرة.

٦ ـ استتب الأمن ورفرفت أعلامه في جزيرة العرب بفضل الله ثم بفضل هذه الدعوة المباركة والقائمين عليها فأصبح المسلم يقطع المسافات الطويلة لا يخاف إلا الله يحمل ماله معه بعد أن كان النهب والسلب والقتل والخوف مضرب المثل في هذه الجزيرة فانقلبت الحال ولله الحمد وأصبحت مضرب المثل في الأمن ورغد العيش والاستقرار في شتى مناحي الحياة.

٧ ـ انبثق من هذه الدعوة دولة الكتاب والسنة والتوحيد الخالص، دولة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ بقيت المملكة العربية السعودية في العصر الحاضر شامة في جبين العالم تتمتع بالعدل والأمن والسلام، فينتشر العلم فيها ويصل لكل مواطن ومقيم، كما يصل إليه الماء والهواء دون عناء أو تعب أو خسارة مادية أو معنوية، وهذا الفضل من الله، والله ذو الفضل العظيم.

يقول الشيخ أحمد بن حجر: «... دولة نشرت العدل والأمن والسلام، دولة عززت من مركز العلم وقامت بنشره بين جميع أفراد الرعية وكل من يفد إليها... دولة تمثل الصدر الأول والسلف الصالح في أحكامها وهيمنتها على الأخلاق وتحكيمها للكتاب والسنة... دولة تسهر على مصالح الرعية وتعمل لرفاهية الشعب ومحاربة الفقر... وتسهر على راحة الحجاج وبذل جميع الوسائل لرفاهيتهم وتذليل جميع العقبات أمامهم. وبالجملة فهي أحسن الدول العربية في تحكيم الشرع ونشر الأمن والعدل والعلم ومحاربة أهل البدع والضلال والأخذ على أيدي السفهاء والعابثين بالأخلاق والمنتهكين الحرمات... أيدها الله ووفقها للخير والنفع العام...»[١].



(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص١٠١، ١٠٢).

الخاتمة

بعد نهاية هذا البحث يطيب لي أن أدون بعض النتائج التي انتهيت إليها من خلاله وبسطت غالبها خلال صفحاته السابقة فأقول.

أولاً: الدعوة إلى الله ﷻ من أفضل الأعمال وأقرب القربات وأوجب الواجبات بعث الله تعالى صفوة خلقه من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام للقيام بها ووعد القائمين بها أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً في الدنيا والآخرة.

ثانياً: أهل السنة والجماعة هم المتبعون للسنة في كل شأن المجتمعون على الهدى وبهذا يخرج أهل البدع وأصحاب الأهواء لأنهم غير مجتمعين على السنة والهدى.

ثالثاً: منهج أهل السنة والجماعة المناصحة للعام والخاص كل حسب مكانته ومنزلته مع مراعاة الظروف والملابسات وأسلوب المناصحة الشرعي يؤدي ثمرته عاجلاً وعلى العكس الأسلوب الأهوج الأعوج يبذر بذرة الشر التي تتنامى حتى تكبر فتفسد على المجتمع أمنه وطمأنينته وأسلوب التشويش والإثارة وذكر الأخطاء على المنابر أسلوب غير شرعي لأنه تعيير وليس بنصيحة وكم من شخص نصح بالسر فأثمر ذلك استجابة فورية والعكس صحيح فكم من أشخاص عنف عليهم في أسلوب المناصحة وحجمت أخطاؤهم وأعلنت على الناس فأحدث ذلك ردة فعل عندهم وزادهم ذلك صلفاً وعناداً فلم يستجيبوا وهنا يبؤ هذا الناصح بإثمهم.

والنصيحة إذا كانت للعلماء أو لولاة الأمر فينبغي أن تأخذ طابع السرية التامة لأن هؤلاء لهم ولاية على الناس ولهم مكانة عظيمة في قلوبهم فإذا تمت مناصحتهم علانية وأعلنت هفواتهم فإن ذلك يقلل من مكانتهم في أعين

الناس وبالتالي تقل هيبتهم ويقل احترام العلم الذي يحملونه فليتنبه لهذا المزلق الخطير.

رابعاً: من أخطر الأمراض التي أصيبت بها أمة الإسلام مرض الاختلاف والتفرق ذلك المرض الذي شمل مناحي الحياة كلها في كل حقل وكل مصر وكل مجتمع حتى خيم شبحه الأسود على نفوس الناس وأصبح الكثيرون لا يعبأون بالنصوص الشرعية التي تدعو لتوحيد الصف وجمع الشمل بل كل يغني على ليلاه ويزعم أن الحق بجانبه وأن غيره مهما كان على الحق فهو مخطئ وهذا ما أثلج صدور الأعداء إذ طعنوا الأمة بسلاح منها وهذا السلاح هو أمضى الأسلحة وأفتكها فإنا لله وإنا إليه راجعون.

خامساً: ثبتت النصوص الصحيحة الصريحة التي تفيد وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية الله وعدم إثارة الفتن مهما كان الدافع لها والحرص على الجماعة ولزومها والنهي عن الفرقة لأن فيها خذلان الأمة وضعفها وهذا هو منهج سلف الأمة الذي ساروا عليه وأكدوه فيما نقل عنهم فمن كان في رقبته بيعة لولي الأمر وجب عليه أن يحافظ عليها وأن يؤدي حقوقها وأن يشكر الله جل وعلا الذي أنعم عليه بنعمة الإسلام وتحكيم شرع الله في هذه البلاد المباركة فكم من المسلمين حرموا هذه النعمة العظيمة في بلادهم وأصبحوا ينظرون لبلاد الحرمين ـ بلاد التوحيد ـ على أنها المثل الذي يحتذى في هذا الجانب وهذا من فضل الله ومنته على بلادنا فنحمده ونشكره على هذه النعمة ونسأله المزيد من فضله.

سادساً: عاش المجتمع المدني في أمن وطمأنينة بعد أن أنعم الله عليهم بفضله بالألفة والاجتماع وسارت الأمور على هذه النحو أمن في الأوطان وتحكيم لشريعة الرحمٰن ولكن أعداء الإسلام لم يهدأ لهم بال وهم يرون المسلمين على هذه الحال فحاولوا بكل وسيلة أن يقضوا على وحدة الأمة وكان من أخبث وسائلهم بث الفرق والأحزاب التي بدأت تنخر في جوف الأمة وتمزقها متخذة كل وسيلة متاحة لهدم كيان الأمة المتماسك المبني على عقيدة الإسلام والولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والمتأمل في حال الأمة

الإسلامية اليوم يرى أن البدن الإسلامي مثخن بمحنة الأحزاب التي فرقت الشمل وأضعفت البنيان الكبير ولكن سنة الله في خلقه جارية فقد تساقطت الفرق في الماضي الواحدة تلو الأخرى ومن نهج نهجها سيقتفي أثرها في السقوط بمشيئة الله مهما كانت جذور حزبيته ضاربة في الأرض.

سابعاً: أحيا الله بالإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ الدعوة إلى التوحيد حيث ركز في دعوته على تصحيح عقيدة الناس وردهم إلى التوحيد حيث ركز في دعوته على تصحيح عقيدة الناس وردهم إلى التوحيد الخالص لأن غيره من واجبات الدين من حقوقه ومكملاته وتابع له. لقد تجرد الشيخ رَحِمَهُ اللهُ للدعوة إلى الله على بصيرة وجاهد في رد الناس إلى ما كان عليه أهل السنة والجماعة من إفراد الله بالعبادة وترك التعلق بغير الله والاعتقاد فيما دونه متبعاً في ذلك سنة رسول الله ﷺ وكان من تمام توفيقه وتأييده أن قيض الله له من الأمراء من ينصره ويعينه ويقف معه ولذا تعاهد مع الأمير محمد بن سعود على نصرة شرع الله وتحكيمه في الأرض مهما كلفهم ذلك من تضحيات وقد تحقق لهم ما أرادوا فأظهر الله دينه وأعلا شريعته وقد استمرت الحال على ذلك في هذه البلاد المباركة أئمة يدعون الناس إلى الهدى والرشاد ويصححون عقائدهم وحكام يساعدونهم ويدافعون عنهم بكل قوة فحصل من الخير والفضل والأمن والأمان في هذه الديار ما لا يعلم مداه إلا الله وأصبحت على حال لا يوجد له نظير في سائر أقطار الدنيا ولله الحمد والمنة.

وحد الله أهلها بعد الفرقة وأطعمهم بعد الجوع وأمنهم بعد الخوف وتحولت الدويلات الصغيرة الكثيرة المتناحرة في هذه الجزيرة إلى دولة واحدة مترامية الأطراف متميزة في دينها ودنياها.

ثامناً: المملكة العربية السعودية هي البلد الوحيد في الدنيا الذي يعلن شرع الله ويفاخر في ذلك في كل المحافل الدولية بل إن نظام هذه البلاد لا يسمح بما يتعارض مع شريعة الله. وبلاد الحرمين هي البلد الوحيد الذي يطبق الحدود الشرعية رغم ما واجه هذه البلاد من الصيحات واتهامها بالرجعية والتخلف والهمجية ولكن ولاة الأمر عاهدوا الله أن يعلنوا شرعه ويحكموه في

أرضه وهكذا تمت البيعة على ذلك في هذه البلاد المباركة ولذا فلا يجوز شرعاً أن توجد في هذه البلاد أحزاب سياسية أو حزبيات دينية يكون ولاؤها لغير ولاة الأمر لأن في أعناق المسلمين بيعة شرعية لا يجوز المساس بها أو عمل ما يناقضها وقيام هذه الأحزاب أو تلك الحزبيات أو الجماعات التي تعطي ولاءها للأعداء خارج هذه البلاد كل ذلك يناقض ما في رقبة المسلم من البيعة الشرعية لولي الأمر.

وبناء على هذه القاعدة العامة فلولي الأمر أن ينظم أمور الناس وشئونهم وليس لأحد أن يفتات عليه في هذا المجال وبالتالي فلو منع ولي الأمر أحداً من الخطابة أو الوعظ أو التدريس فإن من حقه ذلك ما دام يرى في ذلك المصلحة للشخص وللمسلمين أو يغلب جانباً على جانب ولقد سمعت من شيخنا الشيخ محمد بن عثيمين حفظه الله ـ وهو كما هو معلوم من كبار علماء هذه البلاد ـ قوله: لو منعني ولي الأمر لامتنعت ولما تكلمت في درس أو في لقاء وهذا هو الفقه الشرعي لطاعة ولاة الأمر.

تاسعاً: بعض الناس يهتم بكثرة الأتباع أكثر من اهتمامه بنوعية المطروح وكيفية الطرح ولذا تجد هؤلاء يجاملون أتباعهم بل ويخادعونهم أحياناً بالتمويه وذلك عن طريق الألفاظ المجملة والعبارات المحتملة وتأويل بعض النصوص لمسايرة الواقع الذي يعيشون فيه وأكبر دليل على ذلك أنهم يتغاضون عن أخطاء الآخرين ويقبلونها منهم ويعتبرون ذلك ضمن المرحلية في الدعوة بل إن بعض هؤلاء يسكت عن المنكر العلني بحجة التأليف والتقريب زعموا ـ وساء ما يزعمون ـ ولذا لا غرابة أن يكثر الأتباع من الغوغائيين والرعاع الذين يتبعون كل ناعق ويسيرون خلف كل بارق والعبرة بالمنهج الصحيح وإن قل الأتباع وأصحاب الحق وإن كانوا قليلاً ما هم إلا أن معهم الحق وهو غالب وصدق الله العظيم: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝١٧٣﴾ [الصافات: ١٧٣] وهؤلاء هم أصحاب الصراط المستقيم والمنهج القويم وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

عاشراً: وقف الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ طوداً شامخاً زمن الفتنة حينما أجبر الناس على القول بخلق القرآن. وامتحن الإمام أحمد بسبب ذلك امتحاناً عظيماً ولكنه ثبت وصبر واحتسب الأجر من الله. والبعض يحور موقف الإمام أحمد من الفتنة ويجعله سياسياً بحتاً وهذا هضم لموقف الإمام وتنقيص من قدره فموقفه الشرعي أعلا قدراً. ولذا لما قيل للإمام أحمد: ما تقول في السلطان قال: لو كان لي دعوة مستجابة لصرفتها إليه.

وثبت عنه رَحِمَهُ اللهُ أنه عفا عن المعتصم. حتى قيل أن الإمام أحمد بن حنبل أحلَّ كل من ضربه وشايع فيه وكذلك المعتصم إلا ابن أبي دؤاد حيث يقول الإمام: إلا ابن أبي دؤاد لا حللته فإنه داعية.

ويقصد الإمام أحمد بذلك أن ابن دؤاد داعية للبدعة وأنه السبب في كل ما حدث للمسلمين في هذه الفتنة. وبذا يتضح أن موقفه من الفتنة كان موقفاً شرعياً يريد منه الدفاع عن كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ.

أحد عشر: يعتبر شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية أحد الأعلام الذين خلد الزمان ذكرهم وأصبح الناس يتتلمذون عليهم على مر العصور لما اجتمع في هذا العالم من صفات لم تجتمع في غيره من أهل عصره فهو الذكي الألمعي وهو الكاتب العبقري وهو الخطيب المصقع والباحث المنقب الذي درس أقوال السابقين وفحص الروايات بين الآراء المختلفة وطبقها على عصره مع إدراك للكليات الجامعة والفروق البديعية والتقاسيم الدقيقة وربط للجزئيات وجمع للأشتات المتفرقة ووضعها في نسق واحد. وأبلى بلاءاً حسناً في الذب عن شريعة الله ومقارعة أهل الزيغ والضلال من الفرق الضالة فلما عجزوا عن قرع الحجة بالحجة تعرضوا له بصنوف الأذى والسب ووشوا به إلى السلطان في وقته فكان أن سجن عدة مرات وهذا معروف مشهور لكن البعض يحوز هذا الأمر ويقول: إنه سجن لمخالفته للسلطان وأن موقفه هذا كان موقفاً سياسياً. علماً أن شيخ الإسلام أرسل رسالة إلى الملك الناصر الذي سجنه

رسالة تفيض حباً ومودة وولاءاً للسلطان وهذه الرسالة تكشف الحقيقة وتبين الموقف بجلاء وأن موقفه لم يكن سياسياً إطلاقاً.

اثنا عشر: يدعي البعض أنهم هم العلماء وأنهم وحدهم هم الذين يجب أن تصدر عنهم الفتوى والآراء والمشورة لإلمامهم بواقع الناس وبيئتهم وظروفهم وملابسات ما يسألون عنه. ويتهمون العلماء الربانيين الذين يستقون الأحكام والفتاوى من القرآن والسنة بأنهم لا يفهمون. كيف ذلك وهم قوارب النجاة لهذه الأمة وهم الذين يبينون للناس الحلال والحرام والحق والباطل والطيب والخبيث والصواب والخطأ.

وسلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين حين واجهتهم بعض المعضلات والمستجدات ردوا الأمر لصحابة رسول الله ﷺ فهم أعلم الناس في هذا الوقت وكان الصحابة هم المرجع في علاج ما يشكل من المسائل مثل مسألة القدر بعد ما خاض فيها من خاض وبما خاض وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣].

فهل يفيق هؤلاء الشباب ويلتفون حول العلماء يستقون منهم الحكمة ويتعلمون منهم العلم الصحيح المستمد من الكتاب والسنة.

ثلاثة عشر: يقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم» وظاهرة التكفير مزلق خطير وقع فيه البعض جهلاً منهم أو محاكاة لأصحاب الأهواء الذين اندسوا في صفوف الأمة وأظهروا أنهم من أهل الصلاح والعلم والدعوة وهم في حقيقة الأمر من أهل البدعة.

إن إصدار حكم الكفر على شخص معين معناه ردة هذا الشخص وخروجه من ربقة الإسلام وزوال أهليته وطلاق زوجته منه وعدم إرثه وهذه من الأمور العظام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما**»(١).

أربعة عشر: العلم من المصالح الضرورية التي تقوم عليها حياة الأمة بمجموعها وآحادها فلا يستقيم نظام الحياة مع الإخلال بها.

وسن الشباب هي خير ما يؤهل الشاب لطلب العلم وصدق الحسن إذ يقول: «طلب العلم في الصغر كالنقش على الحجر». وقد جاء الحث على العلم والاهتمام به والترغيب في طلبه في نصوص كثيرة متضافرة. قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**».

ومن أهم ما يجب أن يتحلى به طالب العلم: الأدب مع العلماء واحترامهم وبيان محاسنهم فهم الشموع المضيئة والأعلام الهادية والأدلاء على الخير وهم بحر الأمة الدافق وقلبها النابض وبلسمها الشافي وهم أهل الصلاح والتقى وهم أهل الطاعة والعبادة وهؤلاء هم العلماء الأثبات الموثوقون الذين لهم قدم راسخة في العلم.



---

(١) رواه البخاري. انظر: صحيح البخاري، كتاب العلم (١٠)، رواه مسلم. انظر: صحيح مسلم، كتاب الإمارة (٣/ ١٧٥).

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة